الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

دور إيالة الجزائر في الدفاع عن ديار الاسلام

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبين (ة):

- بن ناصر مصطفي.
- عابي عشور.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
.....	.....	جامعة المسيلة	رئيسا
أ. والي ابراهيم	.....	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
.....	.....	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1442هـ-1443هـ/2021م-2022م

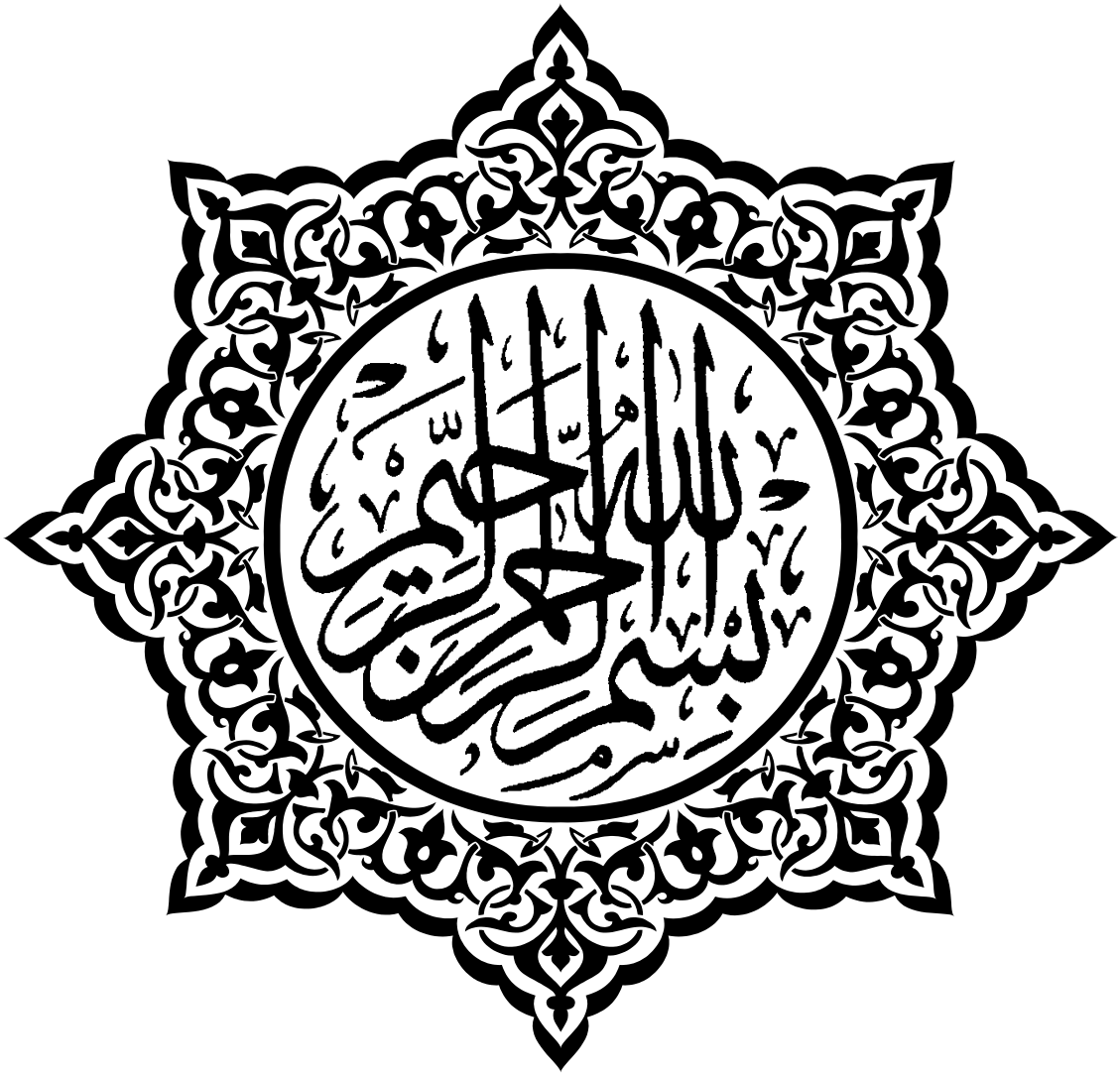
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . .﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذنا المشرف **(والي براهيم)** منبع المعرفة و السراج

الذي أنار دربنا فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم التاريخ

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

قائمة المختصرات	
ج	جزء
د،م،ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة
م،ت،ج،م	مجلة تاريخ الدراسات التاريخية
م،د،ت	مجلة الدراسات التاريخية
م	ميلادي
هـ	هجري
ت،ح،م	التاريخ الحديث والمعاصر
تق	تقديم
تع	تعريب
تح	تحقيق
م،و،ك	المكتبة الوطنية للكتاب
م،و،ط	المؤسسة الوطنية للكتاب

مقدمة

مقدمة:

فهم العثمانيون منذ بدايات تعاملهم مع القوى المحلية في الجزائر العثمانية بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية منذ 1519 م أن نجاحهم في حكم الجزائر واستمرار بقائهم فيها، مرتبط بقدرتهم على التقرب و التعامل مع تلك القوى ذات الحضور الديني و الاجتماعي القوي ، والحفاظ على الجانب الديني ،ومدى تمكنهم من الحصول على دعم رؤساء ومشايخ ورموز تلك القوى كما أن هذه القوى الدينية من مشايخ ورؤساء ديار وزوايا، هم أنفسهم وقفوا تجاه السلطة العثمانية في الجزائرا من مسافات مختلفة، فبعضهم تبنى الولاء المطلق للسلطة والبعض الأخر دخل في صراع مع تلك السلطة الزمنية ، فيما إختار آخرون الحياد.

ومن هذه المواضيع التي يستوجب الوقوف عندها وتتبع مجرياتها وتطو ا رتها موضوع العلاقات في الحوض الغربي للبحر المتوسط، بين الضفة الشمالية التي مثلتها دول أوروبا، والضفة الجنوبية التي مثلتها الإيالات العثمانية على العموم والإيالة الجزائرية على وجه الخصوص، هذه الأخيرة التي ارتبط اسمها بالدولة العثمانية منذ سنة 1519 م، وهي السنة التي أصبحت فيها الجزائر أول إيالة عثمانية في شمال إفريقيا.

وسؤال الاشكال التالي :

ما دور إيالة الجزائر العثمانية في الدفاع عن ديار الاسلام؟

- دواعي اختيار الموضوع:

جاء اختيارنا للموضوع من وراء أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، و تحصر الواقع الذاتية فيما يأتي:

- الرغبة في دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية خاصة من الجانب الديني وكيف كان للأيالة دور كبير في الدفاع عن الدين الاسلامي.

أما الموضوعية فتتمثل فيما يلي:

- التعمق أكثر في الموضوع، و زيادة المعارف حول هذه الفترة.

-تقديم صورة عن الوضع الديني والروحي خلال هاته الفترة .

- ميل معظم المؤرخين في دراساتهم التاريخية وأبحاثهم على الجوانب السياسية

والعسكرية وأهملوا جزئيا الجانب الديني.

- أهداف الدراسة :

يهدف اختيارنا للموضوع إلى جملة من الحوافز والأهداف العملية والتي من أبرزها:

- المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بالدراسات الخاصة في التاريخ العثماني من من الجانب الديني والروحي .

- تقديم صورة واضحة وموضوعية وشاملة عن الوضع الديني.

- إشكاليات الدراسة : تكمن الإشكالية الرئيسية للموضوع في السياق التالية -

ما هية آيالة الجزائر؟ ودورها في الدفاع عن ديار الاسلام؟

؟ وللإجابة على هذه الإشكالية طرحنا عدة تساؤلات فرعية تساعدنا في الإلمام بالموضوع، ومن أبرزها :

- ما هي أهم الوسائل التي استخدمتها أيالة الجزائر في الدفاع عن ديار الاسلام ؟

- ما أهم المظاهر الدينية التي سادت خلال هذه الفترة؟

- ما هي أهم المؤسسات والمنشآت التي حملت لواء نشر الدين والجانب الروحي في الدفاع عن ديار الاسلام ؟ وما مدى تأثيرها على المجتمع الجزائري؟

حدود الدراسة :

-موضوع دراستنا من بداية القرن 16 م إلى بداية من الثلث الأول من القرن 19 م إذا يمثل القرن 16 م تأسيس إيالة الجزائر بعد التحاقها بالدولة العثمانية 1519 م، إلى بداية من الثلث الأول من القرن 19 م في تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 م.

كما ينحصر موضوع الدراسة للبحث في بداية ظهور إيالة الجزائر وخضوعها للحكم العثماني، واليت عرفت هاته المرحلة بالعديد من المحطات ابرزها.

- المنهج المعتمد :

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي لكونه الأساس في كل الدراسات التاريخية والمنهج الوصفي وذلك لوصفنا للمظاهر الذي تتناسب مع طبيعة الموضوع بالإضافة إلى

مناهج أخرى ثانوية واكبت هذه الدراسة كالمنهج التحليلي الذي ساعدنا في تحليل ودراسة بعض المعطيات والآراء المتضاربة .

– و لوصف الأحداث والوقائع التاريخية وصفا كرونولوجيا وفقا لما هو مذكور في الخطة بالإضافة إلى المنهج التحليلي لأن حركية الأحداث التاريخية خاصة الدينية تتطلب منا التحليل والتعليل والمقارنة في المواطن التي تستدعي ذلك

– **الصعوبات التي واجهت الدراسة:**

من الطبيعي أن يواجه أي باحث أثناء إنجاز بحثه العديد من الصعوبات والعراقيل التي تقف عرضة في مسيرة بعض جوانب الموضوع ومن أبرزها :

– عدم توفر الكتب الورقية مما جعلنا نعتمد على الكتب الإلكترونية(pdf)

–صعوبة التحكم في سشاعة الموضوع وطول فترة الدراسة كطلبة باحثين مبتدئين وهو ما شكل ضغطا علينا.

–نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي خاصة جمع المادة العلمية واستيعابها وتحليلها وصياغتها.

–تعذر الحصول على بعض المصادر التي تخدم الموضوع بشكل عام وخاصة منها الأجنبية، هذه الأخيرة التي تشكل مشكل أو صعوبة أخرى ألا وهي الترجمة وعدم فهم اللغات.

– محدودية الدراسات التي تعرضت للموضوع المدروس ، فحتى الموجود منها معظم دراسات عامة تتعدى التعمق أكثر في جوانب الموضوع خاصية الدينية منها .

– صعوبة الوصول إلى المصادر والمراجع خاصة الأرشيفية والتي تتطلب منا السفر للاستفادة منها.

و في الأخير شكرنا الموصول إلى من منحنا دراسة هذا الموضوع، وكل من ساعدنا في إنجازه خاصة أستاذنا المشرف كما تعتذر عن كل نقص بدر منا لأن أي عمل إنساني يعتريه النقص، و نسأل الله الغفران، فهو ولي ذلك و القادر عليه، و هو الهادي إلى سواء السبيل.

خطة الدراسة:

الفصل الاول : ظهور ايالة الجزائر العثمانية.

المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس بالجزائر.

أولا: أصلهم:

ثانيا: ممارسة القرصنة ضد السفن الأوربية المعادية للدولة العثمانية:

ثالثا: استنجاد سكان أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.

أ- محاولة عروج تحرير بجاية من الإسبان:

ب- استنجاد سكان مدينة الجزائر بالإخوة بربروسا.

المبحث الثاني: ظروف نشأة إيالة الجزائر

أولا: دوافع العداون الصليبي الأوروبي على الجزائر

-الدوافع الدينية

- الدوافع السياسية والإقتصادية.

- الدوافع العسكرية:

ثانيا: بداية إرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية.

الفصل الثاني: دور إيالة الجزائر في الدفاع عن ديار الاسلامية

المبحث الأول: بدايات انتشار الدين الإسلامي والدفاع عنه

أولا: ديار الإسلام

ثانيا: التصوف وتأثيره على المجتمع

ثالثا: مكانة الزوايا عند الأهالي

رابعا: الوقف وتأثيره على الحياة الاجتماعية والثقافية

خامسا: مكانة مؤسسة أوقاف سيل الخيرات

سادسا: المصادر المالية للمؤسسات الوقف

المبحث الثاني: دور الإيالة الجزائرية في الدفاع عن ديار الاسلام

أولا: تحرير طرابلس 1551م

ثانيا: حصار مالطة 1565

ثالثا: معركة ليبانت 1571م (Lepante1571)

رابعا: تحرير تونس 1574م

خامسا: حرب البنادقة 1639م (La guerre venice)

خاتمة

الفصل الأول

ظهور ايالة الجزائر العثمانية.

1- المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس بالجزائر.

2 - المبحث الثاني: ظروف نشأة إيالة الجزائر

تمهيد:

إن تأسيس ايالة الجزائر لم يتم بقرار مفاجئ نتيجة لوفد تم إرساله إلى اسطنبول لاستصدار قرار سلطاني الذي يقضي بضم الجزائر إلى دولة العثمانية وتعيين مسير الدين بربروس واليا عاما برتبة بايلر باي كما يتوهم البعض بل تم ذلك عبر مراحل زمنية طويلة نسبيا، وساهمت الظروف والمتغيرات السياسية التي عاشتها منطقة الشمال الإفريقي والأندلس افضت في نهايتها إلى إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية على النحو الذي صار معروفا لدى الباحثين، وهو ما سنتطرق اليه في هذا الفصل الذي يتضمن مباحث.....

ولا شك أن الوفد الذي أرسله أهالي الجزائر لمقابلة السلطان سليم الأول عارضين عليه حماية بلدهم من العدوان الإسباني كان يمثل إحدى الحلقات المفصلية في تاريخ الجزائر. غير أن تلك البعثة لم تكن الأولى و لم تكن الأخيرة في سلسلة الوفود التي تتابعت على اسطنبول قبل و بعد ذلك ولعل أدراك مراحل الدخول العثماني إلى الجزائر يمكن فهمه من خلال تتبع الوفود التي أرسلت لمقابلة السلطان سليم الأول ثم السلطان سليمان القانوني، ونعتقد بأن معرفة الظروف التي أحاطت بإرسال تلك الوفود سوف يسهل على الباحث إدراك الأرضية التي هيأت الجزائر لكي تصبح ولاية عثمانية.

في ظل الظروف السياسية المرئية والمواقف الاستسلامية بان المغرب الأوسط، إضافة إلى محنة مسلمي الأندلس التي جعلت ذوي الضمائر اخية يعملون بكل الوسائل الممكنة للتخفيف من أثار هذه النكبة ومساعدة إخوانهم، ظهر جيل جديد من الثأرين جعلوا من أنفسهم فداء للدفاع عن الإسلام رغم قلة العدد وضعف العادة ومن بين هؤلاء الإخوة

بربروس[1]، عروج[2] وخير الدين"

فكان لها الدور الفعال في إنقاذ مدن البلاد الإسلامية من كيد الحركة الاستعمارية التوسعية بالتصدي للحملات الصليبية بالمنطقة، فكانت أعمالهم في بادئ الأمر غير مرتبطة بأوامر سلطانية أو تمثيل رسمي للدولة العثمانية، بل كل ما يمكن قوله أن حضورهم كان بدافع الانتقام أحيانا وبالقرصنة[3] (الجهاد) أو التجارة في الغالب.

لكن الأوضاع سرعان ما تغيرت وأخذت منحنى أخر بدأت بظهور إيالة الجزائر العثمانية من خلال ربط علاقات سياسية وعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية، ففي هذا الفصل سنتطرق إلى ظهور الإخوة بربروس بالجزائر واستنجاد سكان مدينة الجزائر بالخوة بربروس ثم إلحاق الجزائر الرسمي بالباب العالي .

المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس بالجزائر.

في أوائل القرن السادس عشر ميلادي ازدادت عمليات القرصنة الأوروبية في عرض البحر الأبيض المتوسط وذلك لضرب المسلمين في عقر دارهم، حيث ارتبط هذا الوضع بظهور الأتراك العثمانيين وصاب امه مع الغزاة المسيحيين في البحر المتوسط (سواحل

---

[1] بربروسا كلمة فرنسية معناها Barberoutine، أطلقها الأوربيون على عروج وخير الدين، لأن لحية عروج كانت حمراء ممثلة إلى الصفرة، وفيما بعد عرف خير الدين باسم بربروسا، وكان أصدقاء عروج ينادونه بابا عروج احتراما له. (أنظر آلتر سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر،ط 1، دار النهضة العربية، لبنان، 1919 م. ، ص 41

[2] عروج أو أوروج أصلها مصرية صميمة وفي لفظ معناه الارتفاع والصعود، وهو مأخوذ من حالة الإسراء والمعراج التي يرجح أنه ولد ليلتها، فالترك ينطقونه تورات و العرب ينطقوا عروج المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الج ا زئر واسبانيا 1191 م- 1991 م،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الج ا زئر، 1915 م.، ص 100)

[3] أخذت القرصنة عند الإخوة بربروسا طابعا أنسانيا قائم على الجهاد البحري ضد الصليبيين لإنقاذ إخوانهم المسلمين الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الإسباني، ويميز الدكتور بلحميسي بين نوعين من القرصان فيقول:" القرصان (pirats) ما يسعى في البحار لحسابه الخاص، فهو ليس سوى لص مسلح، أما البحار القرصان ، قهو مقاتل نظامي قناص في البحر يهاجم أعداء أمته ليحصل منها على نصيب معلوم من الغنائم، وعلى سفينته علم أو راية بلاده" وفي هذا يقول كذلك جون مولف: * القرصان هو شخص حرفي النهب لا يعترف بأي سنة ، يهاجم دون تميز سفن أي دولة وكان هدفه الوحيد هو النهب، لكن رياس البحر كانوا أشخاص موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهمة ولم يشنوا حربا إلا على أعداء أميرهم... للمزيد أنظر Moulay belhamisi, Histoire de marine Algérienne (1516-1830), ENAL, Alger, 1983, P144.

اسبانيا الشرقية والجنوب شرقية وسواحل شمال إفريقيا)، فكان العثمانيين يمثلون الإسلام وعرفت الحروب التي قامت بينهم بالجهاد البحري ومن هنا بدأت أولى ملامح العلاقات العثمانية بشمال إفريقية[1] لظهور الإخوة بربروس.

أولا: أصلهم:

إن تشكيل إيالة الجزائر يعود الأعمال أخوين المعروفين بالبربروسا وبالرغم من أن هناك كثيرا من الخلاف فيما يتعلق بأصولهم، فقاد اتفق المؤرخين بصورة عامة على أنهم قدموا من جزيرة ميديلي[2] Medelli (ميثلان) في الأرخبيل اليوناني ، ثم اعتنقوا الإسلام وهذا ما ذهب إليه الكتاب الأوربيون[3] المهتمون بإبراز الأصل الأوربي سواء أكان يونانيا أو ايطاليا، ألمعظم الذين اشتهروا في البحرية الإسلامية بشمال إفريقيا[4] مظهرين تفوق العنصر الأوربي على غيره، أما المؤرخين العرب فمنهم من يذهب إلى القول: أن أصلهم من الأتراك المسلمين.[5]

أما أبوهم يعقوب فيما كان يشغل قرصانا مسلما أو أنه اشتغل عريفا أول في الجيش الانكشاري، وبعد تقاعده ذهب إلى الجزيرة وأصبح خزافا ونفس الدرجة من الغموض تحيط بالأم التي ربما كانت بنتا لأحد الرهبان الإغريق أو إمرأة أندلسية أسرها يعقوب في البحر[6]، فأنجبت ست بنات وأربعة ذكور إسحاق عرت خضر (خير الدين – خسرف– الخضر)

---

[1] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1976م، ج1، ص 189.

[2] فتحها السلطان محمد الفاتح (1429–1481). مجهول، كتاب غزوات خير الدين وعروج، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص6.

[3] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتق: عبد القادر زيادية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص29 .

[4] صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة أو الانجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1993م، ص 19.

[5] آلتر سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر ، ص 27

[6] وليم سنسبر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتق: عبد القادر زيادية، ص 29–30

ومحمد الياس ، فعمل الأول في التجارة، ومحمد إلياس معلما للأطفال[1] أما عروج فمتهن حرفة التجديف في حين عمل خير الدين فخارجي.[2]

ولد عروج حوالي عام 1473م وخير الدين في العام المولي وكان الأخوان بيعان الفخار لأبيهما في جزائر اليونان بواسطة بعض المراكب ،تذكر بعض الكتابات الثابتة أن حياة عروج[3] على أمواج البحر المتوسط كانت مليئة بالمغامرات والمحن، فقد ألقي عليه القبض من طرف فرسان القديس "يوحنا" بجزيرة "رودس" فقتل أخوه إلياس أما هو فقد أسر وعمل كمجادف، إلا أنه تمكن من الفرار إثر عاصفة بحرية أو تم فديته[4]، فلجأ إلى أمير مصري فدعمه ليكون سيد البحارة في إغارته على التجار المسيحيين فأصبح مسؤولا عن إدارة المراكب، فما تقدم البلدة من بلاد العدو إلا و فتحها ولا تصادف مركبا من مراكب العدو إلا وغنم منها، وبقي على هذا الحال إلى أن توفي السلطان الغازي "بايزيد خان" وتولى بعده أبنه الملك سليم سنة 918/ 1512م، حينها انفصل عن إدارة المراكب واستأذن في خدمة الدولة العثمانية وأن يقوم بالجهاد ضد الصليبيين و انقاذ ونصرة المسلمين.[5]

فاتجه الأخوان عروج وخير الدين إلى الجهاد البحري منذ الصغر ووجها نشاطهما في البداية إلى بحر الأرخبيل المحيط بمسقط رأسهما حوالي سنة 1510م، لكن ضراوة الصراع بين القوى المسيحية في بلاد الأندلس وفي شمال إفريقيا بين المسلمين هناك، والذي أشتد في مطلع القرن السادس عشر قد استقطب الأخوين لينقلا نشاطهما إلى هذه المناطق[6]، فظهرت

---

[1]Gnid Mowoad, L'Algéric com les mares, 2eme de Mmmm. Alger, 1994, p34 .

[2] بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2 . الجزائر، 2009 م، ج ، ص33.

[3]جون وولف باتيست، الجزائر وأوروبا 1511 م– 1911 م، تر وتع: أبو القاسم سعد الله ط 2 ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2115 م ، ص 28.

[4] جون وولف باتيست، الجزائر وأوروبا 1511 م– 1911 م، تر وتع: أبو القاسم سعد الله، ص28.

[5] Fry Disge de Harde, Histoire des rois d'Alger, Traduit et annotée par : H.D. de Grammont, Grammont,

In R.A , N: 24-25, 1880, P44

[6] محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط دار المعرفة، ط1، القاهرة، 2006م، ج1، ص 253.

فظهرت عمارة الأخوين التركيين بابا عروج وخير الدين متنقلة بغربي البحر الأبيض المتوسط براية حمراء موشية[1] الذين أصبحا مصادر الرعب والفزع في البلاد النصرانية[2].

يقول الحافظ أبو راس عن الأخوين في عجائب الأسفار: "إن خير الدين وشقيقه لما كانا في أكمل حالة الرجولية وغاية الشجاعة والعجولية، اشتغلوا بالتجارة وتدربوا بالانشاء والسياسة والجسارة ثم عملوا أجفانا للجهاد في البحر فأذاقوا النصارى شرا وقهروهم قهرا[3]. فكان لهم الدور الكبير والأثر الفعال في تأسيس إيالة الجزائر والاعتراف بها رسميا كدولة مستقلة عن الإمبراطورية العثمانية .

ثانيا: ممارسة القرصنة ضد السفن الأوربية المعادية للدولة العثمانية:

لم تكن القرصنة في غرب البحر المتوسط بالشيء الجديد فمنذ قرون عديدة كان المسلمون وكان المسيحيون يقومون بأعمال القرصنة في البحر، فإن القراصنة المسيحين كان عددهم كبيرا جدا خلال القرنين 15 و 16م بالبحر المتوسط ولم خفت وطأة القرصنة بعد ذلك بسبب نقل أفق عملها إلى المحيط الأطلسي بعد اكتشاف أمريكا، ولكن القرصنة الإسلامية ازدادت ضراوة في الشمال الإفريقي بعد إبعاد مسلمي اسبانيا واضطرارهم إلى الالتجاء إلى شمال إفريقيا[4].

ولقد كانت شواطى المغرب بطبيعتها الوعرة وثغورها ومراسيها وخجلانها الكثيرة التي تحميها الصخور العالية أصلح ملاذ مشاريع أولئك البحارة المجاهدين، وكانت مياه الجزائر وبجاية وتونس أفضل قواعد هم للرسو والاقلاع، وكانت غاراتهم على الشواطئ الإسبانية ولا سيما في المياه الجنوبية، تتجدد بلا انقطاع، وتنجح في معظم الأحيان في تحقيق غاياتها

[1] طقوش محمد سهيل: تاريخ العثماني من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط 2، بيروت، 2008 م. ص14.

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1191 م- 1891 م، ص 158.

[3] آغا بن عودة المزاري، ، طلوع سعد السعود، تح و دراسة: يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر،2118 م ، ص250.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص 75.

وكان حكام الشعوب المغربية من تونس إلى وهران يشجعون هذه الغارات ويسمحون للمجاهدين اسمين بالرسو والتموين في تغورهم.[1]

وكان عروج من أكبر هؤلاء القراصنة الذين سوف يربطون معظم المغرب بالإمبراطورية العثمانية المدة تقارب من الثلاثة قرون[2] ، فاستطاع أن يكون أسطولا صغيرا من بضعة سفن يغزو به في البحر وساعدته الأقدار بالنصر والمغانم وألقته الريح إلى جزيرة جربة فحط بها بعض أثقاله، وأتى تونس وسلطانها يومئذ "أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي" 932- 989هـ." فهاداه بتحف مما غنم وحسان من الجواري، فوقع ذلك من السلطان موقعا حسنا واستأذن في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة فأذان له على شرط أن يرفع إليه الخمس مما يغنمه فرضي عروج بذلك[3] ، فاختار جزيرة جربة[4] واتخذها قاعدة لأسطوله ومراكبه البحرية[5]، أما سبب اختيار هذه الجزيرة فيعود لقربها من الأراضي المسيحية صقلية ومالطا والجنوب الإيطالي[6].

وبعد استقرار عروج جزيرة جربة لحق به أخواه خير الدين وإسحاق وأصبح لديهم حوالي اثنتي عشر سفينة، ولما كانت جربة بعيدة عن ميدان الجهاد الحقيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط نقلوا مركزهم العسكري إلى حلق الوادي في أقصى شمال تونس.[7]

ثالثا: استنجاد سكان أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.

أ- محاولة عروج تحرير بجاية من الإسبان:

في فترة وجيزة ما بين 1504-1510م اتسع نشاط الأخوين بربروس ما اشتهروا به من سطو على مراكب النصارى وخاصة الاسبانية منها، ويفضل ما حققه من إنقاذ آلاف

---

[1] بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية(1541 م- 1181 م)، ط 2، دار النفائس، بيروت ، ص 81.

[2] ،عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 م، دار هومة، ط 2، الجزائر ، ص 43.

[3] بسام العسلي، المرجع السابق ، ص 10

[4] جميل بيوض، تاريخ العرب الحديث، دار الأعلى للنشر والتوزيع، ط1، 1991م، ص 47.

[5] الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1991 م. ، ص 5.

[6] المرجع نفسه ، ص 270.

[7] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1885 م ، ص ص 11.

الموريسكيين[1] قام بأعمال الجهاد في سواحل أوروبا الجنوبية عامة وسواحل صقلية وجنوب ايطاليا[2]، ومن ذلك الحين ذاع صيتهما في أوروبا والمغرب العربي حتى بلغت حاسمة الدولة العثمانية إسطنبول[3]، مما جعل أهالي مدينة بجاية[4] يستنجدون به حيث غزوا هذه المدينة سنة 1512[5].

وهذا ما يشير إليه **خير الدين بربروسا** في مذكراته" وصل وفد من مدينة بجاية الجزائرية حاملا رسالة جاء فيها: إن كان ثمة مغيث فليكن منك أيها المجاهدون الأبطال، لقد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان، فها نحن نضع أمرنا بين أيديكم جعلكم الله سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، فتفضلوا بتشريف بلادنا وعجلوا بتخليصها من هؤلاء الكفارة"[6] فاقتحم عروج وجيشه المدينة بكل بسالة وإقدام، ودارت معركة حامية الوطيس بين المسلمين والمحتلين[7] ، ولم يفلحوا في مهمتهم لأن الحصون الاسبانية كانت قوية وطبيعة المدينة الجغرافية صعبة والقوات الإسبانية كانت قوية و كثيرة العدد وقد فقد عروج ذراعه خلال المعركة فانسحب هو وإخوته إلى الشرق[8]

---

[1] أرزقي شويتام ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره، دار الكتاب العربي الجزائر، 2111 م.، ص 32.

[2] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 م ، ص 43.

[3] استانبول، أطلق هذا الاسم على القسطنطينية بعد فتحها واتخذت عاصمة للعثمانيين، وهي كلمة تركية تنقسم إلى قسمين سلام بول وتعني دار السلام. (انظر: محمود خان الخيرية تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطي، المكتبة المصرية، ط1، القاهرة، 2001م، ص8).

[4] استنجد بهم حاكم بجاية السابق الأمير عبد الرحمان. (أنظر: فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي – دراسات دراسات تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا- مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص 531.

[5] محمد خير فارس، تاريخ شمال افريقيا الحديث (تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي1600-الفرنسي1600-1830)، مكتبة دار الشرق، ط2 ، بيروت، 1979م، ص24.

[6] خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين ، تح : محمد دراج، شركة الأصالة، ط1، الجزائر، 2010م، ص 21-22.

[7] عبد الحميد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط الجزائر و نتائجها الحضارية خلال القرنين 15-17م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، ص 78.

[8] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ص35.

فبعد التجربة الاستطلاعية التي قام بها عروج في بجاية تيقن أنه من المستحيل تحريرها وهو قاعدته البعيدة (تونس)[1]، لذلك قرر البحث عن مركز جديد يكون قريبا من بجاية فوجد في جيجل (تبعد ب 120 كلم غرب بجاية) المكان الملائم للتمركز والاستعداد نظر لموقعها الاستراتيجي الذي يقربه من ساحة المعركة[2] فتمكن من فتحها سنة 1514م واتخذها قاعدة لهم بعد أن طردا منها الحامية الجنوبية[3]، فكانت أول بلدة ثم انقاذها على ساحل بلاد المغرب الأوسط، وكذا الاستقرار بمركز منيع برا وبحرا سمح له ولرجاله من أجل تطهير البلاد من الاحتلال الأجنبي.[4]

فأرسل عروج هدية إلى السلطان العثماني سليم تحت رقابة أحد قراصنته يعرف باسم **محي الدين رايس**[5]، مرفقة برسالة عرضوا فيها أوضاع بلاد المغرب، كما أخبروه بالصعوبات التي التي تواجههم من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس، فرحب السلطان بذلك وعدا هؤلاء الإخوة بأن يحظون بمساندة امبراطورية بأكملها، فكانت هذه المرة الأولى التي يتصل فيها عروج بالدولة العثمانية في استانبول، فبعث السلطان العثماني سليم الأول مبعوث إلى جيجل الذي جاء على رأس 24 مركبا ليقدم له تشكرات السلطان[6]، واعتراف بعروج سلطانا على جيجل ويومنان، أخاه يبتعاد عن دولة الحفصيين في تونس التي كانت تسعى لاسترجاع جيجل الميزات المفقود من الدولة الموحدية من خلال عروج في حين كان هذا الأخير خفي نواياه لتأسيس إمبراطورية له[7].

---

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ص35.

[2] المرجع نفسه ، ص36.

[3] بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية(1541 م- 1181 م)، ص87-88.

[4] إلياس بوكراع، الجزائر الرعب المقدس، تر: خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2003م، ص 50.

[5] بيري رئيس وهو حفيد كمال رئيس وهو أيضا من الرياس ومن كبار العلماء الجغرافيين أنظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ج2، ص 11.

[6] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1191 م- 1891 م ، ص166.

[7] كورين شوفانية، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1830م)، تر، جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007م، ص 26.

وفي شهر أوت من عام 1514م اتجه **عروج** ثانية لبجاية بجيش بري وحاصرها مما يقرب من ثلاث أشهر لكن دون جدوى وأضطر إلى رفع الحصار، كما كرر المحاولة الثالثة والأخيرة في ربيع 1515م وبقوة برية كبيرة وبمساعدة جنود الأمير الحفصي "عبد العزيز" أمير قلعة بني عباس و أحمد **بن القاضي**[1] : لكن بنفاذ الذخيرة الحربية وامتناع الأمير الحفصي بتونس عن تزويده بالبارود باءت محاولته بالفشل وأضطر للانسحاب[2]

ب- استنجاد سكان مدينة الجزائر بالإخوة بربروسا.

على اثر فشل الأخوان "**عروج وخير الدين**" في فتح بجاية استقر في جيجل بعدما اكتسبوا سرعة كبيرة رغم إحباطهم في تحرير بجاية[3]، وفي هذه الأثناء كانت مدينة الجزائر قد قد استفحل أمرها نتيجة عدم استقامة أمر الحفصيين فخرجت عن طاعتهم واستقلت بأمرشا تحت رعاية جماعة من أشليها تحكمها هيئة من الثعالبة على رأسهم **سيدي عبد الرحمان الثعالبي**، ثم انتقلت رئاستها إلى **أولاد سالم من بني علاء الهواري** وكان آخر رؤسائها "**سالم السالمي التومي**"، وكانت الجزائر في هذا الوقت خاضعة للإسبان منذ أن حلو بها واحتلوا صخرة المرسي العظيمة عام 1510م مكان برج الفنار" اليوم Penious حيث أخذوا في إرهاق كاهل الجزائر بدفع الضرائب، وتقديم الغنائم حسب معاهدة 1511م بين **سالم التومي** والاسبان فضاق الجزائريون ذرعا وأخنوا في التفكير للتخلص من هذا القيد[4]، خاصة بعدما سمعوا ما يجول بالمدن المجاورة لهم وما يبذله الأخوان من جهود صادقة لتحرير مدينتي بجاية وجيجل.[5]

---

[1] هو أبو العباس أحمد بن القاضي المدعو بوقطاش من الرجال الجزائريين السياسيين والعلماء، كان في أول الأمر واليا على مدينة عنابة وعند استيلاء الإسبان على بجاية سنة 1510 م أمره السلطان الحفصي بالالتحاق بعروج لطرد الأجانب منها وأسس إمارة جبل كوكو سنة 1511 م قتل من قبل جنوده سنة 1525 م. (أنظر: أبي راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: (. 2005 م، ج 1، ،Crax محمد غانم، منشورات، ص 32.

[2] وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، تق: عبد القادر زبايدية ، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

[4] عبد الله شريط محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1915 م، ص 38.

[5] قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد،)د.ن(، الجزائر، 1991 م. ، ص21.

وفي 22 جانفي 1516م توفي الملك **الكوثوليكي فرديناند Ferdind** فأحادث موته قوة وعزيمة في نفوس الجزائريين[1] ، وراحوا يسعون للتخلص من القلعة الصخرية البنيون[2]، والتحرر من قيود معاهدة 1511م التي كبلت حريتهم ونشاطهم التجاري، فترأس شيخه "**سالم التومي**" [3] وفد توجه لجيجل لطلب يد المساعدة من **عروج**[4] لإقناعهم وترجهم بالقدوم لتخليصهم من مضايقة وظلم المسيحيين وتهديم هذه القلعة [5].

وما جاء في الكتاب الذي أرسلوه إلى **عروج** : "سمعنا بكم أناسا تحبون الجهاد وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون وان لا بد أن تقدموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة[6] " ، فلبى عروج الدعوة لأنه وجدها فرصة لا تعوض للسيطرة على مدينة الجزائر الأهم بكثير من جيجل الصغيرة سواء من حيث عدد سكانها أو من حيث أنها كانت مدينة قرصنة أو من حيث موقعها الذي يتوسط سواحل المغرب، وفي هذا الشأن يقول مؤرخ اسباني : " أستقبل عروج مبعوثي المدينة بحفاوة ليست لما كانت ستقدمه له مدينة من أموال ولكن لأنه كان من متأكدا من أنه سيصبح يوما ما سيد المنطقة ولا قوة توقفه عن هدفه، وهو ما كان يعمل على تحقيقه بكل قواه، وعندما كان عليه السيطرة على مدينة الجزائر هذه المدينة الهامة والإستراتيجية لممارسة القرصنة[7] .

فأرسل باتجاه مدينة الجزائر 16 سفينة شراعية على متنها 500 تركي مزودين بالمدفعية والبارود والمؤونة، بينما سار هو برا مع 800 تركى مسلحين بالبنادق و3000 من

---

[1] Fray Diego de Haedo, Op.cit, P52.

[2] قلعة البنيون نسبة إلى الصخور الصلبة التي بنيت عليها.

[3] مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي و آخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989 م، ج 1، ص86.

[4] Ermest Watbled, « Etablissement de la domination turque en Algérie », In R.A, N: 17, 1873, P925.

[5] Fray Diego de Haedo, Op.cit, P17.

[6] محمد بن عبد الرحمان التلمساني، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحت رقم 2523 2523 . ص 3

[7] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1191 م- 1891 م ، ص 11.

القبائل ساكني جبال جيجل وألفين آخرين طمعا في الغنيمة[1]، حيث فضلا أن يتجه إلى شرشال أولا والتي كانت تحت حكم "**قارة حسن**" ومعظم سكانها اندلسيون فنجح في السيطرة على شرشال واستسلم حاكمها وأدمج جيشه في جيش عروج وسار إلى مدينة الجزائر[2].

تذكر المصادر أن عروج عند دخوله إلى مدينة الجزائر استقبله سكانها استقبال الفاتحين المنقذين وأن إقامته كانت في قصر **ابن التومي**، ثم قام بعقد اتفاقية مع السكان نصت على احترام سيادتهم على المدينة وألا يدفعوا أتاوات جديدة ولا يتدخل في تجارتهم وأن تقتصر مساعدته لهم على استعادة قلعة الصخرة وتحطيم أسوارها[3]، ومجرد استقرار عروج بمدينة الجزائر قرر مهاجمة الإسبان فأرسل رسالة إلى قائد الحامية الإسبانية يتطلب منه الانسحاب من قلعة البنيون، فرد عليه قائد القلعة الإسبانية: أنه لن يرد القلعة للجزائريين لا بالسلم ولا بالحرب، فقام عروج حفر خندق لتطويق القلعة، وظل يقصفها المدة عشرين يوم ولم يستطيع تحقيق نتائج بسبب ضعف مدفعيته[4]، فرأي سكان مدينة الجزائر بأن عروج ، لم لم يحقق أي تقدم[5] .

غير أن هذا الأخير استطاع أن يتفطن للمؤامرة[6] في الوقت المناسب ويتخلص من خصمه العنيد **ابن التومي**، فشعر هذا الأخير بأن زمام الأمر قد انفلت منه وأن عشيرته من **بني سالم** قد فقدت مكانتها وقوتها، فأخذ يبحث عن مخرج لاسترجاع مكان لها من نفوذ[7]، فلقد ركز كتير من الأوربيين على قضية اغتيال **ابن التومي** فيعطينا **هايدو** و تفصيلا دقيقا حول القضية ومضمونها أن عروج قام بخنق سالم التومي في حمامه حينما كان يستعد لأداء

---

[1] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510 ، ص27.

[2] محمد بن عبد الرحمان التلمساني، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تحت رقم 2523 ، ص4.

[3] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتق: عبد القادر زيادية ، ص 31.

[4] Fery Diego de Haedo, Op cit, In RA, P155.

[5] كورين شوفالييه، المرجع السابق ، ص 30.

[6] ابن التومي كان يدير مؤامرة ضد عروج وجنوده وذلك بالطلب الدعم من اسبانيا كما يورد الأستاذ أحمد توفيق المدني.

[7] بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية(1541 م- 1181 م)، ص 94.

صلاة الظهر[1] : أما لوجى دو تاسىLaug de Tassy الذي زار الجزائر في عام 1725م فينكر أن عروج أعجب **بزفيرة** أو **سافرة** زوجة ابن تومي وحاول كسب ودها ولكنه فشل في ذلك، وذلك قرر اغتيال الزوج ليتزوجها بمجرد ما تصبح أرملة، إلا أنها فضلت الانتحار بالسم على الزواج به، وإن صدقت هذه رواية قد يكون هدف عروج من الاقتران **بزفيرة** محاولته كسب تأييد القبائل العربية المتمركزة، خاصة وأن **زفيرة** كانت تنتمي إلى قبيلة ذات شأن ومكانة في منطقة متيجة.[2]

فباغتيال **سالم التومي** أعلن **عروج** نفسه ملكا على عرش مدينة الجزائر فلم يلق من الأهالي الرقص وذلك لما يجمع بينهم جميعا من إخوة الإسلام ورابطة الخلافة والدفاع عن الأوطان الإسلامية[3]، فتمت مبايعته من طرف الجنود والسكان المناصرين له دون معارضة علنية من طرف بغية أهالي مدينة الجزائر ليشرع بعادها في تنفيذ مشروعه الطموح بوضع أسس لدولته الفتية فقام بصك العملة كتب عليها "ضرب في الجزائر" وحصن المدينة خاصة القصبة ليرفع على أسوار المدينة راياته المؤلفة من اللون الأصفر الأحمر الأخضر[4].

وقد رأى الإسبان في مركز الإخوة بو دروس بالجزائر خطرا على مخططاتهم التوسعية في بلاد المغرب الإسلامية، لذلك قرروا استئصالهم من الجزائر قبل أن يستفحل خطرهم، فجهزوا حملة عسكرية في سبتمبر 1516م قوامها ثلاثمائة وعشرين سفينة وخمس عشر ألف مقاتل بقيادة "**ديغو دي فيرا**" « **Diego de vera** » غير أن هذه الحملة منيت بعزيمة ساحقة، حيث تمكن عروج منها وقضى عليها[5]، بالإضافة إلى سوء الأحوال الجوية التي ساهمت في تحطيم نصف سنفن الإسبان بسبب هيجان البحر[6].

---

[1] Fery Diego de Haedo, Histoire, Op cit, P56-57.

[2] بوشنافي محمد: "مساهمة عروج بن يعقوب في مواجهة الخطر الاسباني على المغرب 5، ديسمبر 2003 /جوان 2004 م، - 1518 م"، مجلة عصور، العدد 4 - الأوسط 1512 ، الجزائر.، 27

[3] الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 8،ط 1، بيروت، دار الثقافة، 1918 م.ص 40

[4] المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1191 م- 1891 م، ، الجزائر، ص175.

[5] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر1510 ، 2007 م. ، ص 34.

[6] Pellissier, Mémoire historique et géographiques sur d'Algérie, Imp. royal, Paris, 1844, P28.

أعطى النصر الذي حققه عروج بمدينة الجزائر القادرة على نشر سلطانه وفرض سلطته عليها فشرع في توسيع رقعة دولته الناشئة وتجميع أجزائها للقضاء على الفراغ الذي خلفته عصور الفتن والفوضى جراء سقوط الدولة الموحدية، فكان لهذه البادرة صدى عند سكان متيجة الذين دانو له كما انضمت لإمارته مدن كالبليدة وملیانة وما لتعترف بلاد الجبال القبائلية بسيادته[1]، ومدية و شلف وجزء من جبال الظهرة والونشريس[2]، واستطاع خير الدين أن خضع تنس بالانتقام من أميرها الزياني **العيد العبدوس مولاي عبد الله الزياني** المتواطأ مع الإسبان، فتوجه إليه بقوة عسكرية سنة 1517م فقتله وطرد الإسبان منها.[3]

أحدث هذا النصر صدى قويا في أنحاء الجزائر خاصة المستغيثين منها لتكون مدينة تلمسان[4] المتضررة من الإسبان منذ 1511م المنطقة الثانية في وجهة **عروج**، فما إن دخل عروج تنس حتى جاءه وفد من تلمسان يستصرخه لإعادة الملك الشرعي **أبا زيان** المخلوع من طرف عمه **أبو حمو الثالث** فلبى عروج النداء[5]، وأحد أخوه **خير الدين** جيشا كبيرا زحف زحف به إلى تلمسان سنة 1518م[6]، إلى أن صادف أبا حمو في جيش كبير فهزمه ملما بلغ تلمسان حظي بحفاوة الاستقبال من طرف سكانها فنصب **أبا زيان (الثالث المسعود)** على عرش تلمسان[7] .

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1191 م- 1991 م ، ص 184.

[2] بلبروات بن عتو، "سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس 1517-1546 م"، مجلة عصور الجديدة، . عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ص 85 ، العدد 2، 2011 م،

[3] مجهول، غزوات ...، ص 31.

[4] تلمسان: مدينة كبيرة في سطح جبل، وهي قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومدارس وفنادق على النمط الإفريقي، للمزيد أنظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، .. ص 17

[5] عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514 - 1830 م، دار هومة، ط 2، الجزائر ، 2007،ص 47

[6] الصلابي محمد علي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار المعرفة،.ط 1، القاهرة، 2006 م، ج 1 ، ص 256.

[7] المرجع نفسه ، ص48.

وفي طريقه ترك حامية عسكرية بقيادة أخيه **إسحاق** في قلعة بني رشد[1]، ففر أبو حمو إلى وهران واستنجد بالإسبان، وخرجت القوات الاسبانية المتحالفة مع أبي حمو وأنصاره إلى قلعة بني راشد وضربت عليها حصارا فقتل **إسحاق** هو وجنوده[2]، ثم ساروا إلى تلمسان وحاصروها وبعد ستة أشهر من الحصار تمكنوا من اقتحامها، فتسلل عروج الى قلعة المشور ثم أضطر للانسحاب منها وتوجه نحو مكان يدعي بني يزناس[3]، فتفطن الإسبان لخروجه وتتبعوه[4] إلى أن تمكنوا منه وقتلوه بنواحي المويلح[5]

قرب الحدود المغربية سنة 1518م[6]، بينما تذكر رواية أخرى أنه قتل بالمالح الواقعة بين وهران وعين تموشنت الحالية، وقد قال الإسبان ولم يعفه في ثلاث فقدان ذراعه إلى أن استشهد حيث أغماد سيف في قلب البحار الكبير وفصل رأسه عن جسده وأرسل إلى إسبانيا للتشهير، وبقي جسده في الجزائر في منطقة قريبة من فاس[7] وبمقتل عروج أعياد أبو **الحمو الثاني**[8] إلى عرش تلمسان[9].

---

[1] قلعة بني راشد: تعرف بهذا الاسم نسبة إلى أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة الذين استوطنوا الجبل المطل على تلمسان وبنو هذه القلعة في القرن السادس، وتقع بين الطريق الواصل بين الجزائر وتلمسان وفي بلدة صغيرة من ولاية معسكر تبعد عنها حوالي 25 كلم. (أنظر، عبد الرحمان بن حمد اللحياني : المرجع السابق، ص 42)

[2] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر – في القديم والحديث – مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، 1954ء، ج3، ص 49.

[3] هو جبل يقع على بعد نحو خمسين ميلا غربي مدينة تلمسان.

[4] حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1511 م وتأثيراته الإقليمية والدولية مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة باتنة، 1111 م– 1119 ، ص 45.

[5] يدعى أيضا ري دو ساردو .Rio– Salado

[6] محمد رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995ء، ص 205.

[7] أوزتانا يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود ومراجعة: محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، ط 1، اسطنبول، 1988 م، ج ص 252 . ويرجع سبب فشل عروج في هذه المعركة أنه كان ينتظر الدعم من الأمير الوطاسي إلا أنه لم يوليه أي اهتمام وقلة الجنود والعتاد. (للمزيد حول مجريات هذه المعركة أنظر: محمد دادة " تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16 م"، مجلة عصور الجديدة، العدد 2، ، الجزائر، 2001،ص 194.

[8] يدعى أبو حمو الثاني أبو قلمون، في أيامه قويت شوكة العثمانيين ضد الإسبان حتى استولوا على مدينة تلمسان. (أنظر: عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 2003 م، ص 239.

[9] شوقي عطا الله الجمل، مجمل تاريخ المغرب الحديث (ليبيا– تونس– الجزائر –المغرب)، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 1 . . القاهرة، 1977 م، ص97.

استشهاد عروج بعد أن أرسى أسس دولة إسلامية قوية قادرة على مجابهة هجمات النصارى وحملاتهم الصليبية، كما كان له الفضل الكبير في إرساء معالم الدولة الجزائرية الأولى، وهو ما ذكره نور الدين عبد القادر في كتابه صفحات من تاريخ الجزائر" يقول فيه: " وخير ما يقال وأصوب ما يكتب ويسطر عن بابا عروج أنه أول من وضع اللبنة الأولى لبناء صرح الدولة الجزائرية وأول من تنبه جليا لتمتين أساسها وتصحيحه.[1]

خلف خير الدين أخاه بابا عروج وقد وجد نفسه في وضعية حرجة فقد. صارت الأخطار تهداده من كل جانب، خاصة وأنه كان في بداية حكمه وكان هناك أعداء كثيرين يتحايلون الفرض للقضاء على الأتراك[2]، فكانت الأوضاع في الجزائر مضطربة ومتدهورة فطلب سلطان بن حفص من **خير الدين** الاعتراف به وتحكمه، وقامت ثورات في عدة مناطق في زواوة وتنس، وشرشال[3]، كما أن الإسبان المنتصرين سيندفعون لا محالة بقوة نحو نحو الجزائر للقضاء على خير الدين، بالإضافة إلى نقص الذخيرة الحربية والعتاد العسكري والقادة ذوي الكفاءة، إن هذه الحالة المتردية التي وجد خير الدين نفسه فيها فلم يكن له إلا إظهار الولاء إلى السلطان سليم الأول الذي كان في أوج قوته.[4]

وفي الحقيقة أن خير الدين قرر الاستعانة بالإمبراطورية العثمانية حتى يتمكن من الحصول على المال والقوة العسكرية اللازمة لمواجهة الخطر المحدق على يد (إسبانيا)، وتحقيقا لهذا الهادف قام الخضر ببناء أسطول حربي، وتهيأ لتخليص تونس والجزائر من السيطرة الاسبانية، كما أن معارضة القيادات المحلية في كل من تونس والجزائر للنفوذ العثماني في شمال إفريقيا وخوف هذه القيادات على فقدان امتيازاتها وسلطانها.[5]

---

[1] نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، ط 1، كلية الآدب الجزائري، قسنطينة، 1915 م ، ص56.

[2] مختار حساني وآخرون، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى ق 16 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007 م، ص .56

[3] بقيادة أحمد بن القاضي الحليف السابق لعروج.

[4] وولف جون ب، الجزائر وأوروبا 1511 م– 1181 م، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 1119 م. ، ص 64.

[5] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م، ط: دار الغرب الإسلامى، بيروت، 1997م ، ص50.

وهكذا أنتهت حياة المغامر البطل عروج الذي لعب دورا كبيرا في وضع الأسس الأولى لتكوين الإيالة الجزائرية وجيشها، كما أن شجعاته وعبقريته العسكرية يشهد بها الأعداء: فلقد مدحه الراهب **هايدو** وذكر بأنه قاتل الإسبان رغم أنه كان يملك يد واحدة، كما اعترف بشجاعته **لوجي دو تاسي** رغم أنه نظر إليه كظالم ومستبد قهر السكان، كل هذه الأمور عجلت بتحرك خير الدين لكي يقيم علاقات قوية مع الإمبراطورية العثمانية ويقضي على النفوذ الإسباني والقيادات المحلية المبعثرة والرافضة للزعامة العثمانية .

المبحث الثاني: ظروف نشأة إيالة الجزائر:

دخل الزيانيين في صراعات وحروب متواصلة تارة مع المرينيين وتارة مع الحفصيين، كما أن القادة الزيانيين كانوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة ويكيدون لبعضهم البعض، ثم إن بعض القادة المحليين أصبحوا يتحالفون مع الإسبان ضد الدولة الزيانية.

ونتيجة لهذه الأسباب تمكن الإسبان من الاستيلاء على غرناطة آخر حصن عربي إسلامي بالأندلس سنة (897-1492م) و أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما في سنة 1499م يقضي بتنصير أبناء المسلمين الذين قرروا المكوث في الأندلس[1] ، وكانت إسبانيا منتشية بشعور الكنيسة الكاثوليكية[2].

وبعد سقوط غرناطة سنة 1492م انتهى الوجود الإسلامي في إسبانيا، بعدما أسس فيها المسلمون أعظم حضارة إسلامية على مر التاريخ[3] ، واتبعته حالة من التدهور والانهيار والضعف في أوضاع الغرب الإسلامي، قد انتهت دولة الإسلام في الأندلس وتوالي بعدها سقوط ثغور أقطار شمال إفريقيا في أيدي الغزاة الأيبيريين المسيحيين، ولم يستطيع المقاومون من السكان المحليين صدهما وذلك بسبب ضعف الممالك الإسلامية في منطقة

[1] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م، ص ص50-51.

[2] عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة الى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة 1999ء، ص 40.

[3] لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج1، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة 1974، ص ص 107-108.

المغرب الإسلامي في تونس وتلمسان وفاس[1]، فكان بعدها الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية والتنافس حول العرش الزياني بين الأخويين "**أبو زيان الثالث(المسعود)** وأبو **حمو الثالث (أبو قلمون)**[2] ، الذي أدخل أخاه السجن وأثناء هذه الإضطرابات إحتل الإسبان المرسى الكبير عام 1505م، ومن ثم الإستيلاء على وهران ستة (915/1509م) بسبب اليهودي "سطور"، الذي كان هو قابض المكوس العامة المدينة وهران وساعده في فتح الباب الخائنان عيسى العريبي وابن القانص والمحزن في هذه النكبة أن الإسبان تمكنوا من ذبح أربعة آلاف مسلم وأسروا ثمانية آلاف، وأنقذوا ثلاثمائة 300 أسير مسيحي[3].

ثم أخذوا يتحرشون ضد مدينة بجاية إذ شنوا عليها حملة كبيرة يوم 05 يناير 1510م، كما احتلوا في نفس العام عناية وطرابلس الغرب، فتخوفت الدولة الحفصية بتونس من الإسبان بعد إحتلالهم بجاية، فتقرب سلاطينها منهم وأعلنوا قبولهم للدفع إتاوات مالية لهم كعنوان للخضوع والإستسلام[4]. فبعد إحتلال المرسى الكبير عام 1505م وبجاية وطرابلس عام 1510م ومدينة الجزائر عام 1511م[5]، فلم يقتصر نفوذهم عن هذا الحد بل إمتدت سيطرتهم عبر كل المدن الساحلية تقريبا[6].

---

[1] ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان وإخبار تونس في عهد الأمان، ج2، ط2، الدار التونسية والشركة التونسية النشر والتوزيع، (د.ت)، ص 121.

[2] أبي حمو الثالث(964هـ/1518م) موسى بن محمد آخر ملوك الدولة الزيانية بتلمسان ثار على أخيه أبي زيان 1503م وسجنه وإعتلى العرش مكانه بعد عامين من بعد ولايته، واعترف بنوع من التبعية لإسبانيا بعدما احتلت مدن الجزائر في 1518م، للمزيد انظر: عادل نويهض ، معجم أعلام من صدر الإسلام حتي العصر الحاضر، دار نويهض الثقافية، لبنان، بيروت، 1980م، ص 127.

[3] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزر والعرب، ج 1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001م ، ص ص81-82.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م -1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1965م، ص65.

[5] جون ب.وولف، الجزائر وأوروبا (1511 م/ 1181 م)، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2009 م، ص ص22-23.

[6] أحمد توفيق الحسني، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط 1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية 2112 م ص 26.

واتسمت الهجمات الإسبانية بالعنف فأدخلت عدة مدن طواعية فأقام بها الإسبان الحصون والقلاع لرصد حركات المكان ، مثل تلمسان التي كانت تعمها الفوضى والضعف، مما واعترف بوجودهم في وهران وقبلها خضعت تنس وشرشال ومستغانم سنة 1511م. فلم يستطيع سكان مدينة الجزائر الدفاع عن أتقسيم هذا ما عجل اتصال الجزائر بالعثمانيين[1] أولا

أولا: دوافع العداون الصليبي الأوروبي على الجزائر:

تعتبر التحرشات والغارات الأوروبية على المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة إمتداد للحروب الصليبية التي شنتها أوروبا على شمال إفريقيا والسبب في هذا هو انقسام المغرب الإسلامي إلى إمارات ضعيفة متطاحنة فيما بينها جعلها تكون هدفا سهلا لدول ومماليك أوروبا، ومن بين الدول التي طمحت بذلك المملكة الإسبانية[2] فقد اتخذت هذه الوحدة السياسية صبغة دينية إعتمدت على التحالف بين الكنيسة الكاثوليكية والتي نتج عنها ما يعرف بحروب الإسترداد[3]،

والتي وجهتها[4] لها ضد مسلمي الأندلس[5] وسكان المغرب الإسلامي،[6] وقد كان لهذه الحرب الحرب الشرسة دوافع حركتها من أهمها نذكر:

---

[1] رشيدة شدري معمرة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العمانية (1518م –1830م)، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2 ، 2017 – 2018م ، ص 27.

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م –1792م ، ص 79.

[3] حروب الإسترداد: هي سلسلة من الحروب التي أثبت الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وانتهت بسقوط مملكة غرناطة آخر معاقل حرب الأسس سنة 1492م، أنظر: صالح حيمر، التحالف الأروبي ضد الجزائر عام 1541م وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر ، جامعة باتنة 2006م–2007م، ص30.

[4] دوريش الشافعي، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط خلال القرن العاشر هجري و السادس عشر ميلادي، مذكرة ماجستير في تخصص تاريخ الجزائر الحديث، جامعة غرداية، 2010–2011م، ص 20

[5] الأندلس: عبارة عن جزيرة متصلة، إسمها في القسم "بازية" ثم سميت " باطقة" وعرفت بعدها "باشا باين" ثم سميت بالأندلس. أنظر : محمد بن علي بن الشباط التوزي، وصف أندلس، تج أحمد المختار العبادي، مدريد المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ط1971،1م، ص 100.

[6] دوريش الشافعي، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط خلال القرن العاشر هجري و السادس عشر ميلادي ، ص20.

1-الدوافع الدينية: شن الحروب ضد المسلمين التي قامت على أسس دينية بين جدران الكنائس ورجال الدين من قساوسة ورهبان اللذان أشعلوا جذوة الحماس الصليبي[1] والمراسيم البابوية التي صدرت سنة (1493م/1494م)[2] تحثهم على مواصلة الحرب الصليبية وإعداد الهجمات الإسبانية وتوجيهها[3]. ظهور العديد من الشخصيات التي دعمت هذا الإحتلال مثل "**الكاردينال خيمينس**" كان هذا البابا رأس المسيحية يأمر المسيحيين بدفع الضريبة الصليبية CRUSADA لملوك إسبانية من أجل الحرب الإفريقية، فقد دعم محاكم التفتيش وتحويل المساجد إلى كنائس وأرغم العرب على إعتناق الديني المسيحي بواسطة السلاح، فهو الذي يدعي بأخر عظماء الصليبين وكان له دور كبير في إحتلال المرسى الكبير 1505م، والملكة **إيزابيلا** التي تركت وصية للمجاهدة في سبيل المسيحية جهادا عظيما، والتي كان لها أثر في تحطيم دولة المسلمين بالأندلس واحتلال غرناطة والتي كانت تود لو أنها حققتها بنفسها ألا وهي فتح إفريقيا[4].

2- الدوافع السياسية والإقتصادية.

ارادة إسبانيا في إسترجاع أمجاد وممتلكات الإمبراطوية القديمة خاصة بعد إكتشاف العالم الجديد، لذلك عملت على إحتلال سواحل المغرب الإسلامي لما له من أهمية في إيصال بحري آمن بين السواحل الإيطالية والسواحل الإسبانية[5]، وذلك بعد توحيد الدولة الإسبانية التي أصبحت بيد قوية وأصبحت تطمح إلى سيادة الدنيا، ويلقون بأنظار الجشع والطمع على القارة الإفريقية[6] لها. أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا أواخر القرنيين أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد

---

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م -1792م ، ص 79.

[2] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ط1، مكتبة دار، الشرق بيروت، 1959م، ص ص16-17.

[3] الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1933م، ص 31.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 80-82

[5] حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1511 م وتأثيراته الإقليمية والدولية .ص ص 33-34.

[6] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص57.

الخام، فإن دفعت إميائيا عن هذه المواد فوجدت في بلدان المغرب الإسلامي غايتها[1]فهي التي كانت تعاني من مشكل إقتصادي، ألا هو تعطل إنتاج وإنعدمت وسائل التصنيع وأصبحت التجارة الخارجية بين تصدير واستيراد كلمة لا مدلول لها فلم يتبقى لها سبيل الكسب المعيشة إلا نوع من اللصوصية المسلحة العدوانية التي تدعي الإستعمار شمالا وجنوبا وغربا[2].

تأمين طرق المواصلات الذي لعب دورا بارزا في تحريك عملية للغزوا الصليبي إذ لجأت الكثير من الدول إلى إحتلال مناطق جديدة وذلك قصد تأمين طرق المواصلات إلى مستعمراتها في المناطق المختلفة، من أجل حماية ممتلكاتها والمحافظة على مصالحها وإستخدامها كمحطات تجارية[3]. وهذا ما لخصه صالح حيمر في ثلاث عناصر هي:

– احتلال مواقع إستراتيجية بصفة دائمة واتخاذها قاعدة للتوسع الإستعماري داخل البلاد. – إستغلال الثروات الإقتصادية التي تزخر بها الجزائر.

–إستغلال الموقع الجغرافي للجزائر بإعتبارها بوابة للتوغل داخل القاري[4]

3– الدوافع العسكرية:

إن هدف الإحتلال الإسباني لمناطق الإستراتيجية في الجزائر، هو مراقبة السفن المارة بالمياه الإقليمية للبحر المتوسط والتوسع في المغرب الإسلامي، كما لمحت من وراء هذا المشروع حماية ظهرها من أي عدوان قد يكون مصدره المغرب بحكم قرب المسافة بين المنطقتين[5] ولتحقيق الهوس الإستعماري الإسباني إختار "**دون دييجو فرناند دوكوردوف**" قائدا عاما للحملة الموجهة على السواحل المغربية التي ارتكبت أعمالا وحشية فقد غدت

[1] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م –1792م ، ص57.

[2] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492م –1792م ، ص ص 87–89.

[3] حيمر صالح، التحالف الأوروبي ضد الجزائر عام 1511 م وتأثيراته الإقليمية والدولية ،ص34.

[4] عبد الحميد ابن أبي الزيان ابن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، ط 1، الجزائر، 1982 م، ص 45.

[5] عزيز آلتر سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية ، لبنان، 1989، ص18.

المدينة من بعده خالية من الطيور والحيوانات، ولم ينجوا من سكانها إلا الذي تمكن من الفرار نحو قمم الجبال[1]

كما شكل إقامة قواعد عسكرية، مبيا مباشرا لتحريك مشروع الغزو، فهذا العمل قد يحول دون الاتصال بين الجزائر ومسلمي الأندلس، حتى لا يحصل هؤلاء على أية مساعدة من إخوانهم مسلمي الجزائر، وسعت إسبانيا إلى تأمين خطوط مواصلاتهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا، واتخاذ القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية.

ثانيا: بداية إرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية.

يعتبر القرن السادس عشر بالنسبة للتاريخ المغاربي وبالأخص تاريخ الجزائر قرنا محوريا إذ شهد تحولات كبيرة جدا على جميع المستويات، وعرف بقرن المجابهات الحربية بين مختلف الأطراف، فهو لاشك قرن التحولات في الأنظمة السياسية والإتصالات والبعثات التي حصلت عبر البحر المتوسط.[2]

فقد تميزت أوضاع المغرب الأوسط[3] عموما في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الضعف والإنحلال[4]. وان الوجود العثماني بالجزائر يعتبر أمرا صعبا لأن الدولة العثمانية قد مرت بمراحل مختلفة وظروف متغايرة، ففي البداية كان العثمانيون يحاولون توحيد المسلمين ومنع الدول الغربية (المسيحية) من بسط نفوذها على العالم الإسلامي[5].

كما نلاحظ أن القوى الصليبية وعلى رأسها البرتغال وإسبانيا التي تشجعت على استهداف أقطار المغرب العربي على أن يكون المغرب الأقصى من نصيب البرتغال، وأن

---

[1] عبد الحميد ابن أبي الزيان ابن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، ص47.

[2] حنيفي هيلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص122.

[3] المغرب الأوسط: أطلق هذا المصطلح على المناطق الواقعة بين تونس والمغرب الأقصى...للمزيد أنظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة والأسعار والمداخيل، ج 1، دار القصبة للنشر، الجزائر، . 2009، ص10.

[4] آلتر سامح عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ص 19.

[5] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1911 م، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 م. ، ص 51.

تكون الجزائر وتونس وما يليها من نصيب إسبانيا[1]، والمشكل أن الدول الغربية قد حقدت على الدولة العثمانية لأن هذه الدولة وقفت كصور منيع في طريق التوسع الأوروبي طوال أربعة قرون من الزمن ثم إن العثمانيين قد كسبوا ثقة العرب[2]، بعد أن تمكنوا من هزم الصفويين في معركة جالديران[3] في 23 أوت 1514م، ومن ثم لاحقت الشيعة في العراق واصطدمت بقوي ومماليك في الشام ومصر وشبه الجزيرة العربية (الحجاز) وحصلت موقعنا مشهورتان بين العثمانيين والمماليك الأولى في حلب وفي موقعة "مرج دبق"[4] في 25 رجب 24922 أوت 1516م والمعركة الثانية في وشي موقعة الريدانية[5] في 29 ذو الحجة922/22 نوفمبر 1517م وقد إنتصر فيها العثمانيون ها، وفي كلتا الحالتين بزعامة السلطان العثماني سليم الأول الذي حكم في الفترة (1512م /1520م)، أما في البحر المتوسط قفن إصطدمت بالقوى المسيحية المتمثلة في إسبانيا والبرتغال خاصة، وعرفت الحروب البحرية بالجهاد البحري ضد القوى الصليبية التي لاحقت مسلمي الأندلس وإحتلت السواحل الشمالية لإفريقيا وأقامت عليها حصون ومراكز عسكرية تطلب من العثمانيين[6]

---

[1] أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف، الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر، . 1791/1766 دار البصائر، الجزائر، 2009، ص37.

[2] عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1911 م ، ص56.

[3] وقعت معركة جالديران بين العثمانيين والشيعة الصفويين حيث إلتقى الجيشان في وادي جالديران وانتهت المعركة بهزيمة اسماعيل الصفوي هزيمة نكراء وفراره من أرض المعركة داخل مصر، ووقوع كثير من قواده في الأسر وبهذا النصر فتح السلطان سليم الأول الكثير من البلدان منها بلاد الأرمينية وبلاد ما بين النهرين ...ثم عاد بلاده...،انظر: كتاب: رونالد ولبر: إيارن ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1915 م.ص16.

[4] سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1191 م- 1181 م ، مذكرة درجة . ماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011-2012.ص10.

[5] معركة الريدانية إنتصر فيها السلطان سليم الأول على السلطان "طومان باي" آخر سلاطين دولة مماليك الشراكسة في معركة الريدانية، واحتل العثمانيون القاهرة وقبضوا على "طومان باي" وقد أعدم "بابا زويلة" وهو ينادي الجماهير- لتتقذه من الشنق فلا مجيب وقرأ البسملة ثلاث مرات للمزيد أنظر: سفيان صغيري، المرجع السابق، ص-ص 11-12.

[6] العثمانيون: ينتمي العثمانيون إلى قبائل "الغز" التركتسانية بقلب آسيا الصغرى)أناضول(أسسوا إما ا رتهم على حساب الإمبراطورية البيزنطية بعد فتح عاصمتها)إسطنبول(على يد محمد الثاني الفاتح عام 1158 م، وقد توسعت الإمارات العثمانية في أواخر القرن 15 م، فشملت كامل بلاد البلقان والجنوب الغربي من أوروبا وجزر الأرخبيل وتركت في كل قطر من الأقطار التي فتحتها نخبة من المسلمين لنشر الدين الإسلامي، ولقد جاء العثمانيون إلى الجزائر الذين أعتبروا إخوانا لنا في الدين وحاولوا دون تنصيرها أنظر: مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين،)د.ط(، دار القصبة للنشر ، الجزائر، ص6.

تحريرها، خاصة بعد إتحاد الأهالي بهم. ومن هذا بدأ التدخل العماني لتحريرها في شمال إفريقيا عامة والجزائر بالخصوص ، فهم بمثابة أبطال ساعدوا الدول العربية الضعيفة. وبسبب الظروف صعبة التي كانت تمر بها البلاد في بداية القرن السادس عشرا، وخاصة ازدياد عمليات القرصنة الأوروبية وضرب المسلمين في عرض البحر وظهور العثمانيين الذين يمثلون الإسلام ويعرفون بقوتهم وجهادهم البحري[1]، فإستجدوا الجزائريين بالأخويين عروج وخير الدين والياس وإسحاق الذين قادوا معارك طاحنة ضد الإسبان وانتصروا عليهم، خاصة بعد إحتلال المرسى الكبير عام 1505م وبجاية وطرابلس 1510م ومدينة الجزائر عام 1511م ، فقد كانت التقن العثمانية تنخر عباب البحر المتوسط بقيادة بحارة عثمانيين سوف يلعبون دورا فعالا ومهما في المستقبل خاصة في ربط شمال إفريقيا بالدولة العثمانية. وكذلك قام الأخوين عروج وخير الدين التصدي إلى الغارات الإسبانية على بلدان المغرب العربي ووضع حد للقرصنة الأوروبية.

ومن هنا بدأت كرونولوجيا العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية الحاملة للواء الجهاد الإسلامي والدفاع على المسلمين، وكان البحر المتوسط مسرحا للإنتصارات المدوية التي أحرزها الإخوة عروج وخير الدين ، استنجد بهم سكان بجاية في عام (917هـ/1512م) وطلبوا منهم مساعدتهم على طرد الإسبان، وكذلك في تلمسان حيث طلبوا منهم القضاء على السلطان أبي حمو الثالث الذي تحالف مع الإسبان[2].

فبدأت عمليات الإنقاذ لما لبي عروج النداء بمهاجمة بجاية وفتح جيجل التي كانت تحت نير الجنوبين "جنوة" وتم فتحها عام 1514م، وأسس مملكة صغيرة والتحق به أكثر من عشرون ألف من أهالي البربر وقدموا له خدماتهم للتخلص من الإسبان، لهذا إتخذ عروج جيجل قاعدة لعملياته ضد الإسبان في بجاية ومركز لنشاطاته في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فقد حاول الإخوة تحرير بجاية عدة مرات لكنهم لم يفلحوا وبقيت بيد الإسبان إلى أن فتحها صالح باشا (صالح رايس) سنة 1555 كما قدم عروج إلى مدينة الجزائر عن طريق البر رفقة ثمانية ألف جندي وأن مدينة الجزائر وتقدم نحو شرشال

[1] –أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1991 م، ص 11.

[2] جون ب وولف، الجزائر وأوروبا (1511 م/ 1181 م)، ترجمة: أبو القاسم سعد الله ، ص–ص 18–19.

وخلصها من الإسبان وأخذ عروج يتوسع في ملكه فإمتد إلى مليانة وبلاد القبائل، فوضع القبائل خير الدين قائدا على الناحية الشرقية وجعل مركزه مدينة دلس ثم هاجم عروج تنس وإحتلها عام 1517م)، ومن ثم سافر عروج إلى تلمسان التي استنجدو به وترك وراءه لحفظ خط رجعته ست مئة جندي بقلعة بني رشاد وكانت هذه المهمة في صالحه لتوسيع نطاق سلطته وإستطاع التغلب على أبي حمو الثالث مع الإسبان لإحتلال تلمسان[1] وإرجاع أبو حمو إلى العرش، فقد شنوا حملة على قلعة راشد وفرضوا الحصار على مدينة تلمسان، لكنهم تقطنوا لخروجه واغتالوه بين وادي المالح وزاوية سيدي موسى (1518م) ويقول خير الدين في مذكراته: أما أخي الكبير إسحاق فكان قد استشهد قبله ببضعة أشهر، كما قتل أخي تقريبا مائة إسباني قبل أن يسقط شهيدا ثم قطعوا رأسه المبارك ويعثوا به إلى الملك كارلوس[2] حقق الإخوة بربروس انتصارات كثيرة، واكتبسوا حب الناس بالرغم من النسائس والمؤامرات التي واجهتهم. وهذا ما سيل م خروج وضع الأسس الأولى للدولة الجزائرية قبل أن يستشهد وهو في طريقه إلى تلمسان عاصمة الإمارة الزيانية سنة (1518) فبعد وفاة عروج بايع أهالي العاصمة أخاه خير الدين سلطانا عليهم، فأعلم خير الدين أعيانها بأنه لا يقوى بإمكانياته المحدودة أن يتصدى لجان، و كثرة المؤمرات والدسائس من طرف الزعماء المحليين في المناطق المختلفة، واقترح عليهم أن يعرضوا تبعيتهم للدولة العثمانية فيدخلون بذلك في حماية سلطانها فوافق زعماء الجزائر على الإقتراح.[3]

تعمل خير الدين على إرسال بعثة إلى السلطان العثماني موجهة بإسم القضاة والخطباء والعلماء والأئمة والتجار والأعيان وكافة سكان المدينة وأهلها يطالبون منه نجدتهم من خطر الإسبان وقد تزعم البعثة الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن القاضي[4]، إستقبل الوقت من طرف السلطان سليم الأول وبالغ في إكرامهم وتذكر المصادر أن السلطان قد آذن

---

[1] عبد الحميد ابن أبي الزيان ابن أشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، ص 111.

[2] محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ط 1، شركة الأصالة، الجزائر، 2010م، ص 91

[3] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص–ص14–15.

[4] عروك فرنجة، العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر والدولة العثمانية (1791–1830) مذكرة لنيل شهادة ماستر، جالمعة محمد خيضر ، بسكرة، 2015، ص20.

لخير الدين بأن يجمع ما يشاء من شباب الأناضول لتجنيدهم للعمل في الجزائر، وقام بمنح خير الدين رتبة بلرباي حيث أصبح بموجبها القائد الأعلى للقوات المسلحة في إقليم الجزائر وممثلا خاصا السلطان العثماني، وبذلك تم إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، بعد عدة مشاورات شارك فيها علماء الجزائر، وتشير في الأخير إلى أن هذا القرار كان قرارا إستراتيجيا بكل الأبعاد العقائيدية والولاء للسلطان العثماني، ومن هنا رسمت الجزائر التحقاها رسميا بالدولة العثمانية بداية من سنة 1519م لتدخل على إثرها الجزائر مرحلة الحكم العثماني وتكون العلاقات الرسمية بين الجزائر والدولة العثمانية[1] .

خلاصة الفصل:

لقد كان انضمام الجزائر للدولة العثمانية له الدور الكبير في الحفاظ على الدين الاسلامي والتصدي للحملات الصلبية خاصة منها الاسبانية، كما أن الاستنجاد بالاخوة بربروس كان له الاثر في التصدي للحملات الصليبية على شمال الجزائر، حيث استنجد الاهالي بالاخوة بربروس للدفاع عنهم، وهذا ما أدي الى انضمام الجزائر للدولة العثمانية وجعلها إيالة تابعة للحكم العثماني

[1] سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر 1191 م- 1181 م ، ص 15

الفصل الثاني

دور إيالة الجزائر في الدفاع عن ديار الاسلامية

1- المبحث الأول: بدايات انتشار الدين الإسلامي والدفاع عنه.

2- المبحث الثاني: دور الإيالة الجزائرية في الدفاع عن ديار الاسلام

تمهيد:

بعدما انتشر الدين الإسلامي في الديار التركية أصبح هو الدين الرئيس في البلاد، وانتشرت معه اللغة العربية، ودخلت الكثير من المفردات العربية إلى اللغة التركية وباسم العقيدة الإسلامية والولاء للسلطان دخل الجزائريون في الرابطة العثمانية وربطوا مصيرهم في الغالب بمصير الأهالي، إلا أنهم اعتبروهم فئة أقل شأنا منهم، ولم يشاوروهم في الحكم، ولم يفتحوا أما اسم المناصب الحساسة في الإدارة والجيش. وكان الأتراك يشكلون طبقة الأسياد تجمعت بأنهم ثروة البلاد، حافظ العثمانيون على نظام الوقف والشؤون الإسلامية العامة بالجزائر وعينوا مشتيا مالكيا يتولى شؤون البلاد يأتي في المرئية الثانية بعد المفتي الحنفي.

المبحث الأول: بدايات انتشار الدين الإسلامي والدفاع عنه.

أولا: ديار الإسلام:

ظهر العلماء كفئة متميزة في المجتمع الإسلامي من أن استولى على شؤون الدولة حكام جهلة ليس لهم صلة بالحضارة الإسلامية ولا باللغة العربية ولا بأمور الدين.

وذلك منذ أن ضعفت الدولة الإسلامية وجبل الحكام هو الأمر الذي أدى إلى ظهور فئة العلماء الذين سدوا الفراغ كمستشارين ومشرعين ومفسرين وأصبح شعارهم أنهم هم حماة الدين"[1].

كانت للهيئة الإسلامية التي أنشأها العثمانيون في الأستانة أهمية كبرى، فقد كانت الدعامة الأساسية في نجاح المشروع الإسلامي. كانت هذه البيئة مستقلة عن السلطة التنفيذية لكون الحكام لم يكن لهم وقت للنظر في الشؤون الدينية، فأوكلوا الأمر إلى هيئة مستقلة إداريا وماليا ومن ما انا عراقية القانون ومدى تطابقه مع الشريعة المحمدية ومراقبة الفضاء، والشؤون الدينية، والتعليم[2].

[1] بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات، 1991م، ص 35.

[2] غالم محمد، تحرير وهران في 27 فبراير 1992، الحدث والرمز، مجلة انسانيات، عدد 79،، ص 32.

وكان أفراد البيئة المستقلة عن الحكومة يتقاضون أجورهم من إيرادات الأوقاف الحرية، كما كان ينفق على مختلف المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية من هذه الواردات.

بعدما صارت الدولة العثمانية تشمل سبع بحار وأمصار عديدة ، وامتزجت روح الشرف بروح الغرب، واجتمعت فيها نظم سياسية مختلفة، وقوانين و عادات متباينة، جمعت هذه المناطق بين أتباع المسيحية والإسلام، ولما كان السلاطين يستأثرون بشؤون الحكم من سياسة واقتصاد وجيش وإدارة تاركين القضايا الأخرى التي لها اساس مباشر بالدين في أيادي فئة من مجموعة العلماء، وهو ما يسميه الأوربيون الفصل بين الدين والدولة.[1]

أضافوا من القوانين المستمدة من الغرف ومن حضارات أخرى ومن حالات الضرورة، وأصبحوا هم كحكام مشرفين على تنفيذها، ومن ذلك بدأ الفصل في تطبيق الحكام في الدولة العثمانية. [2]

كانت الأستانة ترسل إلى أقاليم الدولة باشوات يمثلون السلطان ويرافقهم قاضي حنفي ليفصل في أمور الدين بين الرعية والجيش. وكان قضاة العسكر يأتون في الترتيب بعد العلماء الكبار، قضاة العاصمة، وعواصم الولايات، ثم العلماء الصغار الذين أسند إليهم القضاء في عشر مدن من الولايات مثل بغداد وصوفيا.[3]

حسب القوانين القاسية للدولة العلية كان الشخص الذي يحتل منصب المفتي أولا ومنصب قاضي عسكر الروماني أو الأناضول يتم اختيار من بين الأشخاص الأكثر علما والأن خوفا من الله، لأنه يعتبر خليفة الرسول ، وهو الذي يبين الحلال والحرام ولا يسكت عن منكر ولو كان من كبار المسؤولين.

---

[1] كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، منشورات جروس برس، لبنان، 1992،، ص 65.

[2] بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص 350.

[3] سيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999م، ص 171.

ولما كانت هذه مواصفات التي لا يقوم إلا بتطبيق الأحكام المحمدية[1]، لم يكن ليخلع من منصبه بالمرة، لأن هذه الدرجة هي الأعلى في العلوم. ولا أنطا العلم وانقلبت القوانين، وانتشر الفساد حتى في المؤسسة الدينية، منح المنصب الأساس ليست لهم كفاءة ولا دراية بشؤون الدين والعدالة، وأسند المنصب لغير أهله من ذوي الاختصاص، وانتقلت العدوى إلى الملازمين الذين ليسوا إلا كتابيا، وإلى غيرهم من الأشخاص الذين يسيرون بواسطة المال والجاه مدرسين وقضاة.[2]

تتشكل الهيئة الإسلامية من شيخ الإسلام (تعليق 1) وهو أعلى منصب ديني، وقد لعب دورا سياسيا ودينيا هاما، باعتباره الشخصية الأكثر مهابة وتقديرا في الدولة بعد السلطان مباشرة، فهو الذي صدر فتاوي تتناول مسائل نتصل بالسياسة العليا للدولة، كإعلان الحرب على الدول المعتدية، أو التنازل عن أقاليم، أو عزل السلطان، والتأكيد على مطابقة القوانين و عدم مخالفتها للشريعة الإسلامية ومن مهامه كذلك الإشراف على القضاة في سائر أنحاء الإمبراطورية للنظر فيما استجد من أمور دينية واجتماعية على السكان والوجاق على حد سواء بسبب التوسع الإقليمي للدولة.

وقد وردت كلمة شيخ الإسلام لأول مرة كلقب شرف في النصف الثاني من القرن الرابع هجري (16 ميلادي). ويعتبر شبل الدين فناري (751-934هـ/1351-1431م) أول رجل يحمل رسميا لقب المفتي الأكبر. كان المصادر الأعظم وشيخ الإسلام يقفان في صف واحد، وفي بعض الأحيان يتقادم على المصدر الأعظم، لأن شؤون الدولة مبنية على الدين الذي هو الأساس، ويأتي المفتي في المرتبة الثانية بعد السلطان.[3]

أنشأت الدولة ثلاث مناصب القاضي القضاة، الأول خاص بالأناضول، والثاني بالروملي ، والثالث بالأقاليم الإفريقية[4] بالإضافة إلى هذه الطبقة من القضاة هناك طبقة

[1] عبد المنعم فؤاد أحمد، شيخ الإسلام ابن تميمة والولاية السياسية الكبرى في الإسلام، دار الوطن، السعودية، 1417هـ، ص 25-34.

[2] كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ص 18.

[3] كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ص 39.

[4] كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ص 11.

تعرف بفئة المولى الكبير Moula Kabir، الذين كان عددهم سبعة عشر قاضيا، ويشرف شيخ الإسلام على تعيين هم في مناصبهم بعد اجتياز الامتحانات الخاصة بالسلك.[1]

زيادة على هاتين الفئتين من العلاء، هنالك طبقة علياء السنة الملحقين بجناح السلطان، ويليهم القضاة الذين بلغ ع شم في نهاية القرن 18م إلى 450 قاضيا، ثم يليهم المفتون الذين يعينون في المس المية بجانب القضاة ويتبع هذه البيئة كذلك موظفو المساجد وكان شيخ الإسلام يباشر مهامه في إدارة باب المشيخة حيث يصدر فتوى.

تمنع أفراد الهيئة الإسلامية بالحصانة ضد العزل والنقل وتنزيل الرتبة، ولشيخ الإسلام صلاحيات مراقبة الوالي والدفتر دار وجميع موظفي الجهاز الإداري، ويتمتع أعضاء الهيئة بالأعضاء من دفع الضرائب، ولا تتعرض أملاكهم للمصادرة من قبل هيئة الحكومة.

بعدما استفحل الضعف في جميع مرافق الدولة العثمانية، أصبحت الهيئة الدينية العليا، باد، من شيخ الإسلام ومرورا بأغلب موظفي البيئة حبيسي القرارات الإدارية التي تلزمهم التقيد باتباع مراحل معينة لأداء مهامهم بعد ما توسعت رقعة الدولة، وكثرت القوانين التي أصارها سليمان القانوني، وأخذت الدولة منذ ذلك الوقت تأخذ بالرسوميات، وأخذت تلقي الشغب بين العلماء برتب اخترعتها وجرابات تعرية، أصبح معظمهم يثنون على السلطان وحاشيته. وسهل بعد ذلك ربط العلماء بمغريات الوظيفة، وأصبح المفتون يخفون الحقيقة على السلطان. كان السلاطين في القرن السادس عشر (16) يختارون شيخ الإسلام غاليا من بين قضاة العسكر، وفي المراحل اللاحقة كان شيخ الإسلام ختار من بين قضاة الروميلي، ومدة خدمة الشيخ كانت مرتبطة بمقدرة صاحبها على بالوضع السياسي. [2]

بعدها بدأ الانحطاط باديا على كيان الدولة العثمانية، وصل الوهن إلى المؤسسة الدينية وأنعشت على علماء المجتمع، وأصبحت الوظائف الدينية تورث كما تورث الأموال وهذا عامل مهم في إضعاف من العلم.[3]

---

[1] غالم محمد، تحرير وهران في 27 فبراير 1992، ص 33.

[2] كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ص 41.

[3] غالم محمد، تحرير وهران في 27 فبراير 1992، ص 36.

وبعدما انخراط شيخ الإسلام في هذا المنحى تحول دوره الديني إلى كسب الأموال، وأصبحت المناصب الدينية تورث لغير أهل العلم والكفاءة.

أدت هذه الوضعية التي آلت إليها وضعية ومكانة المفتي من تدهور ومسكوت عن الحق ومد الأيدي لأحد ما ليس بحق، التقليل من مكانة المفتي من طرف السلطة والعامة على السواء ولما ظهرت إصلاحات السلاطين الهادفة إلى تغيير ما يمكن تغييرها الاستمرار الحياة في الدولة العلية، تزعم كثير من رموز الدولة وعلماؤها حركة مضادة للإصلاحات،[1] لأنها كانت تهدف إلى تغيير سلوك وممارسات كتير من قادة وموظفي الدولة، التي تهم الجشع والطبع إلى استبدال القيم الإسلامية والوطنية يا ترد علم واتقهم، غير مبالين بمصلحة الأمة.

كان القاضي الحنفي، يحظى بمكانة عالية في النظام العثماني لكون مذهب الدولة حنفي، فهو الأول في الرتبة بلية المفتي المالكي في الرتبة، والمذهب المالكي هو مذهب الأهالي بالأيالة. تعددت مهام المفتي حيث أوكل الباب العالي للحاج محمد العنابي الجزائري (1775 –1850م)[2] بعض المهام المولوية لصالح اوجاق الغرب، تمثلت في نقل أموال من الأستانة لتوزيعها على أوجاق الجزائر حسب رغبة السلطان بعد نكبة الجزائر التي تسبب فيها القصف البريطاني البولندي في عام 1816م، وما أصاب البلاد امن دمار[3] زاد السكان بؤسا بعد انتشار المجاعة والأوبئة جراء الجفاف الذي أصاب البلاد في تلك الفترة، مما اضطر الناس إلى مغادرة العاصمة إلى الريش بحثا عن الغناء والأمن. واضطر الداني عمر (1770–1817) إلى عقد الصالح مع البريطانيين بالشروط التي أملاها قائدا أسطول البريطاني، التي أقل ما يقال عنها أنها مهينة (عطية محد، 2017 307) ونتيجة ما لحق

[1] سلطاني أحمد، من قضايا الإسلاح عند المفتي الجزائري 1775–1850، العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون، المجلد1، العدد 2، تيارت، سبتمبر 2018، ص ص 293–301، ص 206.

[2] سلطاني أحمد، من قضايا الإسلاح عند المفتي الجزائري 1775–1850، ص 206.

[3] بن عيسى فاطمة، الحملة الانجليزية الهولندية على إيالة الجزائر 1816 من خلال مركز الأرشيف الوطني الجزائري ووثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مجلة التاريخ المتوسطي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مج2، ع2، 2020، ص 239.

الأيالة من خسائر، أصدر الباب العالي أمرا بالسماح لوكلاء الجزائر تحرير الجنود والعساكر من أزمير وضواحيها.

ثانيا: التصوف وتأثيره على المجتمع:

دخل الأتراك في دين الإسلام من القرن التاسع ميلادي، وشكلوا قوة لا يستهان بها في المنطقة، وانتشار البلاد انتشرت اللغة العربية في جميع الأصقاع التركية، وأصبحت لغة العلم، وباتت مناطق عديدة من الدولة العثمانية مثل حلب وحران والموصل مراكز مهمة للثقافة العربية، لكن اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية للدولة العثمانية،[1] كان العثمانيون في تكوينهم الديني والتقني و الحربي من أتباع الطرق الصوفية. فالطريقة البكداشية كانت منذ ظهورهم شم تقودهم وتحميهم وتدفع بهم إلى الجهاد والغانم، وتبارك أعمالهم وتحثهم على مجاناة الكفار، فكانوا يدينون لمرابطي ها ورجالها بالولاء ويتبركون بهم. [2]

وجد التحالف بين العثمانيين ورجال السوقية مبررات كثيرة أوجدت الظروف السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت عليها الأمة الجزائرية آنذاك وشعر العثمانيون بأن المرابطين هم اقرب الناس إليهم ، وكانوا من البداية يطمئنون إليهم حيث يلجئون إليهم للتبرك شاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين والمرابطين حتي عرف الناس أن هناك سياسة مقصودة في هذا الجاد فكثرت الأضرحة والقباب، ودخلت الطرق الصوفية من بلاد المغرب وتونس والمشرق،[3]

وجاء الدعاة إلى الله واختلط بهم الدعاة المزيقون ينتشرون أفكارهم وأورادهم، وأصبح لكل منطقة ومدينة أو جهة راوية وأضرحة يتركون ويقيمون الوعدات والحضرة . وقد كانت لهذه الزوايا وأمثالها قبل أن ينحرف بعضها في العصور الأخيرة ليعود الفضل في تكوين مجموعة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، الذين كانوا واسطة في نقل الإسلام إلى

[1] تميمي عبد الجليل، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، الجزء1-2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية عن الولايات العربية في العهد العثماني، مطبعة الاتحاد التونسي للشغل، تونس، 1986م، ص 347.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 464.

[3] جيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، الجزء 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 257.

أقصى الجنوب الجزائري وإلى غرب إفريقيا،[1]وقد أحصي بعد الكتاب عادات الطرق الصوفية التي ظهرت أواخر القرن 19م (13هـ) ها فوجد ثلاثة عشرة طريقة من مجموع ست عشرة طريقة. [2]، أما الأستاذ الجيلالي عبد الرحمن فيذكر ، نقلا عن ديبون (Depont) وكيبولاني (Coppolani)، أن البلاد كان فيها ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين 23 طريقة.[3]

أصبح العلماء والمرابطون يتباهون بأخذ الطرق والأذكار والسبحة والعصا والمصافحة، وأطير الحكام الاحترام والتسجيل لأهل التصوف الحقيقي والكاذب معا، السني وأهل البدع والشعوذة رغبة في حياتهم. وكانت العقيدة عند العثمانيين قوية، فالبحارة كانوا قبل خروجهم للقروب تهران الأولياء التيل بركاتهم والدعاء لهم، وكانوا يطلقون من البحر عند ذهابهم وإيابهم طلقات بعدد معين احتراما لهم، وإذا هرب أحد الجناة إلى قبة أو ضريح ولي فان الملاحقين به يتوقفون عند ذلك ولا يتابعونه لأنه دخل في حرية الولي خوفا من النية والعقاب.[4]

كان العثمانيين من المعتقلين في كرامات الأولياء، وكانوا يتقربون إلى المرابطين بشتى الوسائل كبناء المشاهد والزوايا والوقوف عليها وتخصيص وقف عليها. وقد غرف عن الباني محمد الكبير[5].

أنه اعتني ببناء مشهد الولي الصالح محمد بن عودة (972-1034هـ) والوالي أحمد بن يوسف (840هـ/1437م-931هـ/1524م) كما أعفى بايات قسنطينة عددا من الزوايا والأضرحة من دفع الضرائب، وخصصوا منحا معينة للأشراف والمرابطين والعلماء من جزية أهل الذمة.

---

[1] غربي شميسة، أول خطبة بعد عيد الاستقلال، مسجد كتشاوة للشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة دنيا الوطن، رام الله، 2019، ص 225.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 406.

[3] جيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ص 257.

[4] جيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ص 47.

[5] زكية زهرة، الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر، من خلال ثلاث نماذج من الوثائق، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001، ص 17.

حلت الزوايا التي أنشئت في الأرياف محل زوايا المدن، إذ استطاعت أن تكسب ثقة الجماهير الريفية، وصارت بالا إلى حد كبير علي علياء العلوم الدينية، وتشرت الإسلام الصوفي في الأرياف وفي المدن، ومات الانتصار الطرق الصوفية.

من بين الطرق الصوفية التي انتشرت في الدولة العلية ، الطريقة الصوفية البكتاشية، وهي طريقة صوفية شيعية نشأت في القرن 13 م، ونسب إلى الحاج بكتاش.

كما انتشر الطريقة المولوية التي تنتسب إلى مؤسسه مها محمد بن حسين بهاء الدين البلخي (1207–1273) المولود بيلخ (أفغانستان)، المعروف باسم جلال الدين الرومي، ومركزها قونة، كما يوجد لها مراكز أخرى في استانبول وغاليبولي وحليز، وتعتبر الجهات التركية "مواسم المولوية" كجزء من الفولكلور إلى يومنا هذا. ومن مبادئ الطريقة التسامح الغير محدود بنقل الآخر.

وتعتبر الطريقة المولوية المسؤولة بالدرجة الأولى عن ظهور واستمرار الموسيقى الصوفية في تاريخ الدولة العثمانية، وابتكرت الرقص الدائري بمصاحبة المقامات الموسيقية بمرافقة الآلات الموسيقية مثل الطول والخوف والناي.

شكلت حركة مجرة صوفية الألم إلى المغرب الأوسط على مدار القرنيين السادس والسابع الهجرين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، عاملا رئيسيا أدى إلى دخول المصنفات الصوفية ورواجها ما بين المتصوفة [1].

ولما ازدهر التصوف في المدن على بين الأولياء التنقل إلى الريف على يد أتباع كبار الأولياء وهذا ما ساعد على نشر الإسلام وإعادة تشرد في الأرياف وجنوب الصحراء، وكان لهذه الطرق الفضل في صير القبائل في وحدات اجتماعية أكبر، ونجحت في إدماج عنصر العرب بالسرير وكان هذا عاملا ما في التمهيد للحركة الصوفية الشعبية التي ستنتشر في كامل أرجاء المغرب العربي.[2]

[1] تراري مختارية، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، مركز البحوث في الأنثروبولوجيا، وهران، ص 71.

[2] عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 21.

كان للتصوف بوجه عام تأثير كبير على الثقافة الشعبية والفنون، فقد نقلت المرجعيات الصوفية عن الشيوخ والزهاد العبارات والمفردات التي تساعدها في القيام بوليفيا في نشر الخطاب الديني والروحي والاجتماعي ، وحتي السياسي عند غضب رجال الصوفية وثوراتهم ضد الحكم العثماني في الأوساط الشعبية التي شكلت الخزان والمحرك الأقوى لدواليب الحركة الصوفية، من خلال تركيز الشيوخ عليها، وأصبح العامة يرددون عند قيامهم بكل أعالم العبارات التي تدل على تأثير التصوف في الثقافة الشعبية مثل: سيدى، مولاي ، مول الساعة، مول السر ، الوالي ، القبة الديوان، الوعدة، الحضرة. وقد ارتكزت هذه الطبوع على أساس الاحتفاظ بالتراث الثقافي والمنظومة الاجتماعية التي غلب عليها الطابع القبلي، مما أفرد تجدرا لفكرة أو مبدأ الولاء والخضوع لسلطة الشيخ.[1]

إن المتصوف الحقيقي هو التي تتوفر فيه شروط أساسية، منها معرفة الكتاب والسنة معرفة دقيقة والعمل بها، والجمع بين العلم والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والتفكير في مخلوقاته وتطهير الباطن قبل الظاهر.

بالإضافة إلى الورع والتجرد من هوى النفس وحب الدنيا والابتعاد عن مغريات السياسة، وأن السلاح المؤدي إلى معرفة الله والقرب منه ليس هو التوسط بالشيخ واتخاذ الحضرة والحب و الرقص الدائري والكرامات، لكنه هو إتباع الكتاب والسنة واجتماع الأمة.[2]

أشاد كثيرا من الشعراء بالجهة الغربية من البلاد وأثنوا على انتصارات المجاهدين من الأهالي والحكام في تصام للأسيان وتحرير مدينتي وهران والمرسى الكبير، لأن هذا التعاون والتكاتف بين الحاكم والأهالي يفرض الدين التي ينتسب إليه الجميع، وفي حالة تخاذل الحكام عن نصرة وقيادة المجاهدين فإن العلماء والمرابطين سيديرون طور هم للحكام وحتى يحافظ الحكام على تلك العلاقة أشرك العثمانيون العلماء والطلبة في الجهاد.

[1] دويدة نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، انسانيات ، مركز البحوث الأنثروبولوجيا، عدد 68، عدد 68، ص 12.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 53.

وقد اعتبر العلماء الباي محمد الكبير أثناء فتح وهران نموذج الأمين العادات التي تحلم به الجماعة الإسلامية، لتحققت بفضل سياسته وحدة السنة والجماعة.

حرص الحكام على التحالف مع المتصوفة مدة تفوق القرنين ونصف القرن حتى نهاية القرن 19 م وبداية القرن 19 م ، وبقيت علاقاتهم بالصوفية متميزة، وفي المرحلة التالية وجسد الحكام أنه سيم أمام خيار صعب حينها تعرضت البلاد لضائقة مالية بتقص عائدات الغزو البحري ومنع القرصنة وإلقاء الرق في البحر الأبيض المتوسط، فعاملوا رجال الدين بنفس معاملة الأهالي، ومنعوهم من الامتيازات التي منحوهم في الماضي.

أدرك الأتراك الخطر الذي يمثله شيوخ الصوفية، الذين استطاعوا الاحتفاظ بنوع من الحكم الذاتي، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على الحكم العثماني لتشتتهم وتفرقهم و عدم القدرة على توحيد شوكتهم ، مثل أولاد سيدي الشيخ، وشيوخ عبور وأولاد مختار والمقراني وأهل عكار وشيوخ الحنانشة وغيرهم. لذلك بدل الحكام كل ما يملكون من وسائل سياسية وإغراء والمناورات للحيلولة دون أن تتوحد جهودهم، وخلقوا لهم أحقادا وضغائن ومشاحنات، وأنشأوا فرقا متناحرة فشل كل محاولة توحيد في الميد بين الشيوخ وأصحاب الطرق الصوفية، وإلصاق بهم تهم باطلة وكاذبة لكل من القرق المتخاصمة التبرير القضاء عليها ودحرها.

وبسبب الجور والظلم أشاعت شتات عالية في كامل ربوع البلاد متعددة الوسائل والغايات، فبعضها كانت لها دوافع اقتصادية، وبعضها الآخر كان لها طابع مسامي، كما أن البعض منها كانت نتيجة ترد أشخاص حبا في المغامرة أو طبعا في الجاه، ومنها ما كان ثورة قبيلة كاملة، وأحيانا ثورة طبقة اجتماعية معينة، وأحيانا أخرى ثورة عائلة أو ثورة جية.

ثالثا: مكانة الزوايا عند الأهالي:

كثر الزوايا في العهد العثماني بسبب كثرة المتصوفة الذين اتخذوا منازل وبيوت الصلاة لإقامتهم ونشرهم مبادئ طرقهم و أذكارهم. انهم من تولى تعليم الصبية القرآن، أو

وظف معلما يقوم بالمية بدلا عنه. وكان مؤسسو هذه الزوايا والمعلمون فيها أصحاب رسالة، لأنهم صانعوا أجيال وبناة مجدها، هاجروا المحارب وحلقات الدروس إلى جبهات القتال.[1]

وتنف عائدا أحباس هذه المؤسسات المستقلة على بعضها البعض ، وعلى أضرحة الأولياء و الأشراف والمدارس التي أسسوها في حياتهم التمديد التكاليف التجارية، ودفع نص من عادات الحيوس إلى الفقراء وأوقاف بيت المال.

كانت مدينة الجزائر وحدها في شطه في 15 م تضم أملاكا موقوفة على 19 واليا، منهم ضريح سياد بن علال أمون بلاد زواوة.[2]

ومن أشهر هذه المؤسسات الوقفية في العاصمة ترجع إلى ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، والتي بلغت أحباسها 72 عقارا، وكانت مدينة الجزائر تضم ما يزيد عن 92 مسجدا خاصا باتباع المذهب المالكي، وكل مسجد مول من أوقافه الخاصة[3]، وقار مداخيل مؤسسة أوقاف سبل الخبرات الحنفية ب 16 ألف فرنك فرنسي، بينما كانت تصاريفه 14.583 فرنك فرنسي.

وكان تنمو وتكاثر اوقات الأولياء الصالحين راجع إلى تشجيع الحكام ورعايتهم ليا الدافع الورع والتقوى أو سعيا للحصول على تأييد السكان المحليين، وكان آخر بايات وهران حسن باي (1827 – 1531) قد بني قبّة ضريح سيدي علي بلعوفة سنة 1243هـ/ 1828-1827 م.[4]

[1] شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007، ص 09.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 142.

[3] عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر في القرن 18م، مجلة الدراسات الانسانية، الجزائر، مج2، ص 113.

[4] سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 203.

رابعا: الوقف وتأثيره على الحياة الاجتماعية والثقافية:

كانت الأراضي التي حدث للإنفاق على الأعمال الخيرية والمؤسسات الدينية والتعليمية، تغطي ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق التابعة للبايلك،[1] وأنواع الوقف كثيرة تستعمل في أغراض متنوعة، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل. ومن أهم أعراضه العناية بالمؤسسات التالية :

- المساجد ودورها في نشر الثقافة:

ووظيفتها الأساسية أداء الصلوات، وتحفيظ القرآن، وتعليم القروض الدينية، وبعض العلوم الإسلامية والمساجد ثلاثة أنواع:

أ- المساجد التي أسس أحكام الأيالة والبايات كجزء من عملهم الوظيفي لخدمة الإسلام، وتيسير سبل أداء شعائر الدين، وكسب عطف الرعية، وقد تكون تلك الأعمال الخيرية البحث عن الشهرة والمجد.[2]

ومن هذه المنجزات الجامع الكبير بالعاصمة، وجامع كتشاوة، وجامع صالح باي وجامع بن مروان بعناية، وجامع الباي بقسنطينة، والجامع الكبير بتلمسان، وجامع الباشا بوهران الذي أسسه الداي حسان[3] وأمر ببنائه وتحمل نفقات البناء بعد فتح وهران النهائي سنة 1207 - 1792م، وهو مسجد جامع ثبتت ذلك اللوحة الموجودة بمتحف أحمد زبانا بوهران، وهي لوحة تذكارية منقوشة على الحجر وقد جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم الرحيم وصلى الله على آل سيدنا محمد ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله وحده هذا الجامع بناه المعلم الأرفع الهمام النفع مولانا السيد حسن باشا لإزالة أعداء الدين..." وحبس عليه عددا من الحوانيت والبيوت لتنفق على خدمة المسجد و عماره.[4]

---

[1] سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ص 53.

[2] بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص 127.

[3] جيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ص 287.

[4] مشهداني مؤيد محمود حمد، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية "مجلة علمية محكمة"، المجلد5، 2013، ص 37.

كما أنشأ باي وهران محمد الكبير(1193-1212هـ/1779-1797م) مسجد محمد الكبير بوهران ويظهر من خلال المدة أن هذا المسجد هو أجمل وأحسن مساجد وهران في الفترة العثمانية من حيث الرونقة والرشاقة والزخرفة، والإبداع الفني والاتساع، وأنهم قلدوا في بناء المأذن ، أذان المغرب والأندلس. وقد جاء في اللوحة المنقوشة عام الحجر المثبتة على جهة الجنوبية، هذا نصها : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فقد أنشأ هذه المنارة الرفيعة المدينة الرائعة البديعة عبد الله المجاهد سبيل الله السيد احساس بن عنان باي الأيالة الغربية وتلمسان وفاتح شعر وهران كان الله له حيث كان سنة 1207.[1]

وأقام العثمانيون فرب المساجد التي يشوها مدارس تابعة لها من مامها نشر العلم والمعرفة بين الناس.

كان من عادات الدايات تخليد أسمائهم بالتقرب إلى الله عز وجل ببناء مدارس وأضرحة أو مساجد للعبادة ، ولم يكن التاريخ يستثني أحدا من الذين تعاقبوا عاي السلطة أثناء العقود الأربعة الأخيرة من الحكم العثماني إلا وشيد مسجدا بحفظ ذكراه، والأثار تدل على أن الحكام كانوا يشعرون ببعض الواجب الديني والاجتماعي نحو المجتمع الذي كانوا يحكمونه[2]، غير أنهم لم يجعلوا تلك الأعمال من بين اهتماماتهم.

من آثار الداي حسان باشا الخيرية (1205-1212هـ/1791-1797م) التي تعود بالنفع على البلاد والعباد وتسجيل الإسلام، أنه أنشأ ببلكور سبيل الماء، وفتح بئر ماء في مساحة بئر ماندرائس سنة 1212هـ/1791م، كما جدد بناء جامع كتشاوة سنة(1417هـ /1795/1794م)،[3] وأنفق عليه أموالا طائلة، ويدل في إتقانه ورونقه، وجلب له مواد البناء من جهات عديدة، خاصة سواريه الرخامية من إيطاليا وكان نقيب النجارين أحمد بن البلاد قد باشر بنفسه صنع تاج المسجد المرخم المنقوش. وعند الاحتلال حول المسجد إلى

[1] مشهداني مؤيد محمود حمد، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، ص 40.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 23.

[3] برواق مليكة، البعد الجمالي للعمارة بمدينة الجزائر "دراسة معمارية أوثرية وجمالية لجامع كتشاوة، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 1، عدد1، ص 17.

كاتدرائية القديس فليب يوم 24 جانفي 1932م، وذلك حينما أقدم الجنرال[1] على إخراج جميع المصاحف من المسجد وإحراقها في مساحة الماعز (ساحة الشهداء)، ولما رفض المصلون المعتصمون داخل المسجد إخلاءه والجلاء عنه قتل عسكر فرنسا المئات منهم ، وظل المسجد على حاله إلى أن أعيد إلى عهده الأول يذكر فيه اسم الله ، وكانت أول جمعة أقيمت في هذا المسجد العتيق يوم 2 نوفمبر 1962م، وقد أم جموع المسلمين أمير اللغة العربية، العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ورئيسها فيما بعد رحمه الله.[2]

كما أنشأ حسان باشا مسجد علي بتشين باب الوادي الذي خول بدوره إلى كنيسة سنة (1239هـ 1843 م.) وقد أوقف على العيون والمسجدين ضياعا عديدة ومصحفا جليلا كان قد أهداه السلطان للدان التي أوقفه بدوره على الجامع الجديد سنة 1199هـ/ 1784 – 1785 م، كما هو مشيت علي ظهرة، وبعد الاستقلال نقل المصحف الكريم إلى إدارة المتاحف والآثار للمحافظة عليه من الضياع، والعناية بشأنه خشية تأكل أوراقه.[3]

ب– والنوع الثاني من المساجد ما أسسه الأثرياء للتقرب إلى الله عملا بقوله صلى الله عليه وسلم " من بنى مسجدا لله بنى الله له قصرا في الجنة"، ومنهم من كان يرغب في كسب الشهرة. ومن بين هذه المساجد التي بنيت في هذا الإطار ، جامع سيدي لخضر بقسنطينة الذي بناه الباي حسن بوحنك سنة 1156هـ، وأوقف عليه عدة أوقاف.

ومسجد سيدي رمضان، ومسجد عباد الرحمن الثعالبي بالعاصمة،[4] ومسجد سيدي الصوفي بجاية، ومسجد سيدي الهواري بوهران، ومسجد سيدي الحلوي، ومسجد أبي مدين الغوث بتلمسان.

---

[1] حاج سعيد محمد، القصبة في العهد العثماني تاريخها، ودورها، وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في العلوم الإسلامية، جامعة وهران1، قسم العلوم الاسلامية، 2014–2015، ص 71.

[2] غربي شميسة، أول خطبة بعد عيد الاستقلال، ، ص 29.

[3] جيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ص 271.

[4] عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر في القرن 18م، ص 160.

ج- ونوع ثالث مما أسسته البينات والجمعيات الخيرية والدينية والاجتماعية تكملة العمل الولادة وكبار الأغنياء وشيوخ الدين، تحتل أوقاف المساجد المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين، وهذا يعود أساسا إلى الدور الذي يلعبه الجامع في الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية. وكانت أوقاف المسجد الأعظم بمدينة الجزائر تناهز 550 وقفا وشي تشتمل منازل وحوانيت وضيعات.[1]

وكانت تصرف عوائد أوقاف الجامع الأعظم على الأئمة والمدرسين والمؤذنين والمقيمين، إضافة إلى أعمال الصيانة وسير الخدمات الوقفية.

العناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري ولا زالت مستمرة، لأن المسجد هو ملتقى العياد لأداء الشعائر الدينية، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة.

كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالفني المحسن هو الذي يتولى بناء المسجد ، ويشترك معه سكان المنطقة بالتبرعات والدولة لم تكن مسؤولة على بناء المساجد، وإذا بي أحد الباشوات مسجدا فإنما يتيه من ماله الخاص، ويوقف عليه من أملاكه.[2]

تختلف الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، بل أن بعض المدن لا تكاد المصادر تذكر له إحصاء. وتكتفي معظم المصادر بالحديث عن المدن الرئيسية، كما أن بعضها لا يذكر إلا الجوامع التي تقام فيها خطبة الجمعة، والبعض الآخر بجمع ما بين الجامع والمسجد و الزاوية دون تمييز في وظيفتها. ورغم كثرة المساجد فإن بعض الكتاب فقد اشتكوا من عدم العناية بها كثرت المساجد الرائعة الجمال بالدولة العثمانية التي أنفق عليها السلاطين أموالا باهظة، وجلبوا ليا مواد البناء من كل الجهات، وشارك في بناءها العمال المهرة ، وما زالت إلى يومنا هذا تعتبر مفخرة الدولة الإسلامية، ومن بين هذه المساجد، مسجد السلطان أحمد، أو الجامع الأزرق الواقع استانبول، وهو جامع مذهل في عمارته، بعد أحد أهم وأضخم المساجد في العالم الإسلامي.

[1] سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ص 150.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 245.

- دور الكتاتيب القرآنية في التعليم:

وظيفة الكتاتيب القرآنية (تعيق رقم 7) تحفيظ القرآن الكريم للصبيان ذكورا وإناثا. وهي تقع في المداشر وأحياء المسنات في غرف تابعة للمسجد، ويستخدم التلاميذ ألواحا ملساء، مختلفة الأحجام، تطلى بالصلصال، ويكتب عليها بالمداد المصنوع من وبر البهائم وأصوافها لتحفيظ القران الكريم، وأقلام من القصب للكتابة، وأقلام رصاص لمساعدة المبتدئين على رسم الحروق، وكتابة الكلمات. وكان تعليم القرآن يطلق عليه بالتعليم الابتدائي ، وهو ما يعرف بالتعليم القرآني حاليا. ويتعلم الصبيان النطق الجيد السليم للآيات والسور القرآنية ، حظا وتلاوة ورسما، ويطلعون على الفرق بينها وبين ما أتحد معها في الصورة وخاليا في المعنى. [1]

معلم القرآن يمس بسداسيات كثيرة من الفقيه، الشيخ، الطالب. وبنتي عادة إلى الطبقة الفقيرة يتقدم التعليم وتحفيظ القران الكريم، حفظا ونسيا حسب رواية ورش عن الإمام شافع ، بالخط المغربي مقابل رات بنات الله في شكل محاصيل زراعية وبقول، وثمان مختلفة وحطب، وعلف لدابته التي يركبها، ويشترك كل سكان القرية في تقديم (الشرط) لمعلم القرآن، التي بشار الأهالي في أفراحهم، حيث بعقد للمتزوجين فرادهم، ويصاب على موتاهم، ويؤمهم في الصلوات الخمس وفي صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء.

كان المشرف على هذا التعليم هو إمام المسجد، ويتولى مباشرته نخبة من حفظة القرآن تراعي فيهم عمادة مقاييس، من بيتها الاستدامة وحسن السيرة والسمعة الطبية، كان بالعامية ثمانية كتاتيب (مسيد) لتعليم وتحفيظ كتاب الله وكثيرا ما كانت هذه الكتاتيب نادي الطلبة المسافرين الذين يلتجئون إليها لحفظ القرآن. وكان سكان القرى والمدن يوفرون لهم الإطعام بعد صلاة المغرب. ولم يكن التعليم في الكتاتيب مقتصرا على حفظ القرآن الكريم، بل يضاف إلى ذلك تعليم المبادئ الدينية كأحكام الطهارة والعبادات والعقائد، وحفظ مختصر سيدي خليل.

[1] شريد ح سعيد بن أحمد، تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، 2012، ص 260.

كان لهذا التعليم نظام داخلي يلتزم به المعلم والتلميذ على السواء، ويحدد سيقا أوقات الدراسة والراحة الأسبوعية، وأجرة المعلم التي كانت في الغالب مما ينتجه أهل البلد ، وما يقدمه التلميذ من دراهم معدودة في نهاية الأسبوع و عند الختم.

– أهمية مؤسسة الحرمين الشريفين:

تعود في نشأتها إلى ما قبل العيد العناني. وتعود أموال أوقافها إلى فقراء الحرمين الشريفين الملكة المكرمة والمدينة المنورة، والقدس الشريف توجه الأموال تارة بالبر مع قافلة الحجاج،[1] وتارة بحرا إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إسلامية وغيرها، ومنها توجه إلى الحرمين كل سنتين.

وقد استمدت المؤسسة أهميتها من المكانة السامية للحرمين الشريفين في نفوس المؤمنين الجزائريين الذين أوقفوا عليها كثيرا من الممتلكات، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها، وقدرت أوقافها عناد بالبداية الاحتلال ب 1373 ملكا، منها 70 ضيعة يشرف عليها مباشرة وكلام الحرمين.[2]

كما تضم 840 منزلا، و258 دكانا، و33 مخزنا، و82 غرفة، و3 حمامات، و11كوشة، و4 مقاهي وفندق واحد، و6 أرحية و201 إيجار[3]، وأن معظم هذه الأوقات قد خُربت، أو ألحقت بمصالح الدولة الفرنسية بعد الاستقلال مباشرة لمؤسسة مكة المكرمة والمدينة المنورة أهمية سياسية، إذ كانت تمثل وجه الجزائر في العالم الإسلامي، وكان وقد الحجيج بحمل كل سنة كمية هامة من النقود والذهب والفضة والألبسة إلى فقراء الحرمين وخدام الحرمين.

كما كان لكل بايلك أوقاف خاصة انضم إلى الوفد رسميا اشتهر الباي محمد بن عثمان الكبير بحبه للجاه والسمعة، إذ كان يقدم هدايا معتبرة لعلماء الحرمين عن طريق ركب الحجاج الذي ينطلق من عاصمة الباليلك.

---

[1] عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، ص 56.

[2] سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ص 04.

[3] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 136.

خامسا: مكانة مؤسسة أوقاف سيل الخيرات:

هي مؤسسة شبه رسمية تشرف على جميع الأوقاف[1] خاصة بالأحناف. ومن أوجه نشاطا إصلاح الطرقات، ومد قنوات الري، وإعانة المنكوبين وذوي العاهات، وتشييد المساجد والمعاهد العلمية، وشراء الكتب ووقفها على الطلبة والمدرسين. وكانت هذه المؤسسة مكلفة بإنارة وصيانة أملاك سبعة مساجد حنفية بالعاصمة، منه الجامع الجبل، المسمى بجامع الصيد البحري. وكان جامع كتشاوة من أهم المساجد التابعة لإدارة سيل الخيرات، وكذلك جامع بتشين، وجامع باب الجزيرة، وزاوية شيخ البلاد.

تتكون البيئة المشرفة على تسيير أوقاف سبل الخيرات من أحد عشر موظفا، بينهم ثماني مستشارين منتخبين، وتناظر أوقاف المؤسسة، وكاتب يشرف على تنظيم عقود المؤسسة، وساعات الموقين شاوش مكلف بالسهر على أبنية المؤسسة، وتسهيل عمل وراحة طلاب القرآن الكريم بجوار المؤسسة. أما أملاكها فتقدر بثلاثة أرباع الأوقاف العامة. متا و حانوتا، منها كانت مستغلة من قبل اليهود. وهذه إشارة واضحة لسماحة الإسلام والمسلمين و عدم التمييز في من يتعامل مع الأوقاف على أساس احترام القواعد العامة، دون مراعاة الدينه، أو عرقه. وكان الجود[2] يعيشون بالجزائر في أمن وأمان، ويعاملون كمواطنين من أهل الذمة قدرت مداخيل هذا الوقت بنحو 4455 ريال سودا يضاف إلى هذا العدد من الحوانيت أربع مخازن ملحقة بالفنادق غلتها السنوية تقدر ب 156 ريالا، زيادة علي دخل حمامين السنوي المقدر ب 165 ريالا.

قامت هذه المؤسسة الوقفية بها محنة سكان الأندلس الذين نزحوا من ديارهم لبلدان المغرب العربي ، واستقروا في المدن الساحلية، وساهموا في الحرب ضد الأسبان بالخبرة والمال والرجال وترجع أول عقود هذه المؤسسة إلى سنة 980هـ/ 1572 م.

[1] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 234.

[2] شريط عبد الله، وميلي مبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص 17.

1- أوقاف الأندلسيين:

اسم الوافدون من الأندلس بعد النكبة هذه الأوقاف بتشجيع من السلطة التي كانت تتعاطف مع المورسكيين، حيث كانوا مدفون من ورائها إلى التضامن فيما بينهم من جهة، وإلى خدمة فقرائهم من جهة أخرى. أشترت هؤلاء النازحون دارا كبيرة وحولوها بالبناء إلى مدرسة ومسجد وزاوية خاصة بهم. وكانت هذه الجمعية الأندلسية مكونة من ستة أشخاص من المهاجرين الأساسيين، تنوع وقف المؤسسة فيما بعد وأصبح يمثل 40 بناية، و 61 مكانا دينيا تزيد مداخيلها السنوية على خمسة الاف فرنك.[1]

2- مؤسسة أوقاف بيت المال:

تعتبر مؤسسة بيت المالجي من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر التي شد علت في العيد العناني و أصبحت تتولى مراقبة تركات جميع الأشخاص الذين يتوقون ، ولا يشير الميت إلا بأمر من رئيس الهيأة الذي يعين حقوق الورثة. وإذا كانوا متغيبين فيان القاضي هو الذي يقوم بتعيين وكيل عنهم، ويعين أوصياء بالنسبة للقاصرين. وإذا كان الميت أجنبيا أو جولا أو كان أهله متغيبين فيان الهيأة تمثلهم وتبيع التركة بالمزاد، وتحتفظ بالقيمة كوديعة الى الهيئة، ويوضع المبلغ في صندوق عمومي، ويسجّل مشارد في ثلاثة سجلات.

وتستعمل أموال هذا الصندوق إعاشة أبناء السبيل ويتامى الفقراء والأسري. وتشرف على إقامة المرافق العامة من طرق وجسور، و أماكن العبادة كما كانت تتم بالأملاك الشاعرة، وكان يشرف على هذه البيئة الخيرية موظف سام هو بيت المالجي، الذي يراقب الأملاك والثروات التي تعود للدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورشة كما يقوم بحفظ الودائع وتسير أملاك الغائبين والتصرف فيها. ويساعده فاضي بلقب بالوكيل ، وموقان ، يعرقان بالعدول.

[1] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 115.

3- أوقاف المرافق العامة:

في غياب هيئات عمومية تشرف على المرافق العامة، التجا المحسنون إلى وقف ممتلكاتهم الخدمة الصالح العام. فأوقفوا عادة أملاك داخل مدينة الجزائر وخارجها للإنفاق على المرافق العامة، كالطرقات، والسواقي والآبار، والحنايا والأقنية، وذلك لما لها من منافع عامة، وكانت هذه المرافق تحظى بالعديد من الأوقاف، ويشرف عليها وكلاء وشواش، يعرفون أثناء الطرق والعيون والسواقي.

4 - مؤسسة الأوجاق:

كان لكل الثكنات السبع الموجودة بمدينة الجزائر أوقافها الخاصة بها، التي ترجع مداخيلها إلى الجنود المقيمون في غرفها التي كانت تأوي ما بين 200 و 300 رجل للغرف الصغيرة، وما بين 400 و 5000 للفرق الكبيرة.

ويعود أصل هذه الأوقاف إلى الضباط التدين ترقوا في الحالة، واكتسبوا أموالا أوقفوها لهذه الفئة من الانكشارية وكان صالح باشا قد اتفق على التكة التي سميت باسمه عقارا عدد غرفه ست وعشرون غرفة تأوي ألفا ومائتين وستة وعشرين (1226) عسكريا.[1]

وقد ارتبطت أهمية العقار الموقوف بأهمية الارتقاء في الرتبة أو المنصب الذي يتولاه الواقف وكان وكيل المؤسسة يعين من قبل مقيمي الثكنة دون تدخل من السلطة المحلية، مما يضيء على هذا الوقف استقلالية في التسيير.

سادسا: المصادر المالية للمؤسسات الوقف:

تعتمد هذه المؤسسات الوقفية من الناحية الاقتصادية على مصارين مهمين هما:

أ- الإعانات :[2]

التي بقايا الحسون في شكل نقود ، وبضاعة ومواد غذائية، وألبسة، وحيوانات، وأفرشة، وغيرها من المواد النفعية.

[1] حبوسة أبو بكر، دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، جامعة تمنراست، المجلد7، العدد4، 2018، ص 27.

[2] بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص 132.

ب – أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يتوقف عليها الأشخاص والهيئات الخيرية ، والجماعات، والولاة، والأمراء وتتنوع من أراضي زراعية، وحقول وبساتين، وأشجار مثمرة، وغلال، وحيوانات حلوة ، ومحلات تجارية، وحمامات، وحمامات معدنية تدر عليها الأموال اللازمة لصرفها على الاحتياجات المختلفة. وتجد كثيرا من الوقفيات التي أوقف فيها أصحابها أملاكهم على أنفسهم، ثم ذريتهم، ثم أحفادهم وفروعهم من بعدهم، قبل أن تؤول الأوقاف إلى إحدى المؤسسات الوقفية، وذلك لمنع الدولة من الاستيلاء على أملاك الواقف عند وفاته، أو عند انقراض نسله. كما أن بعض أوقاف المساجد قد أوقفها عثمانيون كانوا قبل إسلامهم يدينون بالنصرانية، أمثال الحاج حسين ميزو مورطو.[1]

أما الزاوية فتنفرد بمصادر أخر يتمثل في أموال الزيارات والرمادي التي يقدمها الإخوان والموردون والمحبون على شكل نقود وبضائع و مواد متنوعة، وأفرشة، وكثيرا ما يجوب الطلبة والموردين الحقول والبساتين والمنازل لجمع الصدقات والزيارات في موسم جميع الغلال، مثل موسم جني الزيتون والتمر والزبدة والحبوب وغيرها مما توجب فيه الزكاة،[2]

بفضل هذه الأموال والصدقات تتولى المؤسسة الوقفية الإنفاق على من هم في حاجة إلى العطايا والدعم المادي عند حدوث الجفاف وانتشار المجاعة والكوارث الطبيعية الأخرى تظهر أهمية الوقت التي شجعه العثمانيون في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو يضمن العين للزوايا والأضرحة واستمرار نشاطها، كما أنه مصدر الحياة للمساجد والمدارس والكاتب القرآنية، ومعيشة المعلمين والطلبة ويعد من أنواع التكافل الاجتماعي.

للوقف تأثير ديني و سياسي خارج حدود الأيالة، تمثل في إرسال (الصّرة) إلى فقراء مكة والمدينة المنورة حيث كانت توجه أموال الحرمين الشريفين إلى فقراء مكة والمدينة في مطلع كل سنتين عن طريق دعوت شريف مكة، أو بواسطة ركب الحجاج وكان حامل

[1] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 232.

[2] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 02.

الصرة الرسمية هو أمين بيت المال، ويشترك معه في الوقت أمراء و علماء البايلك بالأيالة.[1] وقد نالت مرتبة مؤسسة الحرمين أهم قسط من العقار الموقوفة، وقدّر فليب فالبير قنصل فرنسا بالجزائر أواخر ق 18 م حجم اتساع أوقاف الحرمين الشريفين، حيث يقول "تستحوذ مؤسسة أوقاف الحرمين على جميع العقارات".[2]

وكان مجلس أوقاف مكة والمدينة يتكون في العادة من شخصين تركيين عسكريين، واثنين مدني.[3] وكان ساري مصطفى بن الحاج محبان بيت المالجي[4]، الذي بني ومدرسة لتعليم الصبيان وزاوية لسكن الطلبة، وكان يحمل صدقة الحرمين مع موكب الحج باسم (أمين الصرّة).[5] كما كانت ترسل صدقات إلى فقراء بيت المقدس الذي يوجد به حي يسمى حارة المغاربة خير مثال على أن الأموال كانت تعرف على أهلها.

بالرغم من أن الجزائريين و العثمانيين ينتمون الدين واحد، و عاشوا جنبا لجنب مدة ثلاثة قرون ونصف القرن، إلا أنهم لم يتعرفوا على بعضهم البعض معرفة دقيقة، وصنف الأتراك الأهالي ووضعوهم في مرتبة دنيا.

المبحث الثاني: دور الإيالة الجزائرية في الدفاع عن ديار الاسلام

إن استراتيجية الدولة العثمانية في منطقة شمال افريقيا قامت على الحرب ضد الاسبان و المتحالفين معهم فالمعركة بالنسبة لهؤلاء كانت معركة بغاء، حيث كان لها دلال بعد إلحاق وضم أجزاء هذه المنطقة عبر مراحل ومساعدة البحرية الجزائرية لها.

[1] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 236.

[2] غطاس عائشة ، حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين لمدينة الجزائر، مجلة الدراسات الانسانية، العدد02، المجلد1، ص 141.

[3] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 235.

[4] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 235.

[5] سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 236.

أولا: تحرير طرابلس 1551م

وقبل أن تباشر بعرض اسهامات البحرية الجزائرية ودورها في تحرير منطقة ليبية من الاسبان يجب أن تستعرض وتعطي لمحة عامة عن الوضع السياسي للمنطقة قبل التدخل العثماني والجزائري بها.

استولى الإسبان على طرابلس الغرب عام 1310م واستمروا بها حتى عام 1535م حينما استغل عنها الإسبان لفرسان القديس يوحنا"[1]، الذين كانوا يتخذون من جزيرة مالطة مقرا لهم بعد أن طردهم الأتراك العثمانيون من جزيرة رودس وقد قللوا تلون ليبيا حتى عام 1551م"[2]، وإن كان تسليم إسبانيا طرابلس إلى القديس يوحنا أمر أغضب السلطان، ومهما تكن الأسباب والدوافع فإن وجود الجزائر إيالة عثمانية وتميز ولائها بالقوة بروح المغامرة قد طمأن السلطان العثماني وهيأ له الأسباب في الإقدام على فتح طرابلس.

وفي هذه الأثناء كان نجم الدولة العثمانية يسطع على الحوض المتوسط، وخذا تر وقد من أمل تاجوراء الليبية بالذهاب لصاحب القسطنطينية يطلبون منه الإعانة، وكانوا لاخبرة لهم بلغة الترك ظلما حضروا إلى القسطنطينية استغرب أهلها و وشم من أبي البلاد أنتم؟ فأخبروهم أنهم من طرابلس الغرب قاموا لحضرة السلطان مستغيثين به[3] ولقد قبل السلطان العثماني إغاثة ونجدة سكان طرابلس فسرح مراد آغا[4]، مع الوفد في خف من العساكر الذين نزلوا في قرية تاجوراء الليبية ، وفور وصوله باشر بتحصينها ثم قام باعداد قوة من الأهالي إضافة إلى من معه من جنود، وبدأ بشن هجومات متفرقة ضد الفرسان"[5]،

---

[1] رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، مطابع دار روتابرينت، 1994، ص 297.

[2] أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، تاريخ الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان عليها بها من الأخبار، ص 93.

[3] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، دس، ص 18.

[4] محمود علي عامر، ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى ليبية، الجمعية الثانوية للطباعة، دمشق، دس، ص 160.

[5] يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 218.

وكان درغوث باشا قد اتخذ من مدينة الهدية مركره الرئيسي وأمر شارل الخامس كلا من أندريا دوريا andredonia وخوان دي فيجا Don Juan devega نائب ملك مقلية بإعادة الاستيلاء على هذه المدينة تمكنا من ذلك رغم دفاع درغوث باشا عنها سنة 1551م، وكان شارل الخامس يرغب في منح المهدية إلى منظمة فرسان مالطة الذين رفضوا ذلك وحتى لا يتركها في أيدي الأتراك نقاد عزم هذا الإمبراطور على تخريبها فسحب منها الحامية وهدم تحصيناتها بالديناميت".

ولقد كان مراد أغا بطلع الدولة العثمانية عن كل ما يحصل في طرابلس من قتل وتشريد، إلا أن درغوث باشا لم يقتنع بصماته المراسلات و توجه بنفسه إلى استنبول، وقدم شرحا وأنها حيال هذه القضية وما يفعله المسيحيون حق مسلمي المغرب العربي، وفي هذه الأثناء طلب السلطان من الغيطان سنان باشا بتجهيز الأسطول والتوجه إلى طرابلس الغرب للفرد الفرسان منها وتحرير وهران وبجاية وتونس في طريقه، باعتبار أن الجزائر هي عصب الدولة العثمانية في شمال افريقيا وهي الركيزة التي تعتمد عليها لفتح باقي مناطق المغرب الإسلامي و لايته عن تحقيق الاستقرار الكامل. [1]

ولقد جاء رد السلطان العماني سريعا حاسما ما جرى على مدينة المهدية واسترقاق أهلها من طرف الإسبان ، وخذا وجهز سنان باشا وعلى القدر بطلب من السلطان العثماني أسطولا ضخما مكونا من 112 سفينة و52 مركبا بين صغير وكبير واصطحب على متن الأسطول ثمانية آلاف انكشاري و400 محارب وصانع 600 فارس بخيولهم وكميات كبيرة من المؤن والمعدات اللاّزمة كما عهد إلى الريس درغوث قيادة بعض السفن الأخرى.

وما إن علم فرسان مالطة يقرر السلطان العثماني أصابهم الذعر والإرباك فطلبوا من نائب ملاك صقلية إمدادهم بالجنود والعتاد، وبمساعدة صالح رايس بايلرباي الجزائر ودرغوث رايس وقبل الوصول إلى طرابلس هاجم الأسطول الإسلامي مالطة عام 1551م، غير أن استبسال الفرسان في الدفاع عن جزيرتهم حال دون سقوطها، فانسحب سنان باشا

[1] أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، 189.

ورفاقه إلى جزيرة قوزو واحتلوها، ووصلت الحملة في 4 أوت 1551م إلى مدينة طرابلس الغرب وحاصرها العثمانيون لمدة 10 أيام حيث أصبح سقوط المدينة أكيدا.[1]

ولقد تمكن الأسطول الإسلامي من ضرب منشآت الميناء ودخلوا المدينة بعد قصفها وطرد الفرسان منها، وتم تعيين مراد آغا واليا عليها، وأضحت بذلك طرابلس منذ عام 1551م ولاية عربية تحت السيادة العثمانية، ولكن شؤونها تدبرها الجزائر نيابة عنها، وهذا ما يبرز لنا أهمية و مكانة الجزائر بالنسبة للدولة والسلطان العثماني ، ولعل أعضائها هذا الامتياز ممكن ارجاعها كمكافأة لها و لبحارتها مقابل تحرير طرابلس الغرب .

ثانيا: حصار مالطة 1565.

وبعد تحرير طرابلس الغرب من فرسان مالطة، قرر السلطان العثماني سليمان القانوني القيام بحملة تأديبية على جزيرة مالطة التي كانت مركز فرسان القديس يوحنا، حيث أصبحوا يقلقون أقاليمها بتصرفاتهم، كما كانوا يشكلون خطرا على المراسلات بين الجزائر والدولة العثمانية من جهة، أما من جهة أخرى أصبح هؤلاء الفرسان يقفون في وجه توسعات الدولة العثمانية على أخوض الغربي للمتوسط.[2]

وهذا بدأ السلطان سليمان القانوني بإرسال فرماناتا إلى كل الولايات العثمانية بطلب منها المشاركة في حصار مالطة، ومنها ة اخر اختر التي طلب من حاكمها آنذاك حسن باشا الاستعداد للانضمام للأسطول العتماني تي ريح 1563م التوجه خصار مالطة حيث أورد السلطان في رسالته... تم تعيين الدستور الكرم زيزي مصطفى باشا أدلم تعالى معاليه قائدا بنية غرو و تح جزيرة (قلعة) مالطة الواقعة في ديار الغرب وكما هو معروف منذ أمد بعيد بأن تلك الجزيرة هي بمثابة مغر للكفار أصابهم الدمار، الذين لا يرتدعون عن قطع طريق الحجاج و التجار القاصدين مصر برا ملحقين بكم كل أنواع الخسائر.... كما أشار

[1] عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة المغربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م، ص 219.

[2] عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب 923هـ-1069هـ/1518-1659م، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة دمشق، 1983م، ص 47.

في رسالته إلى أهمية المعركة وشراستها ضف الى ذلك فإنه سيكافئ كل من يقدم المساعدة الأسطول حيث قال "...و إني أولي هذه الغزوة اهتماما زائدا و سيكافئ كل حسب قدره و لن يضيع أجر أحد منهم ... و عليه سارع حسن باشا حاكم الجزائر إلى تجهيز عمارة حية و هو على رأسها وكانت تشمل 25 سفينة وثلاثة (3) ألاف رجل، ولقد وصلت هذه العمارة البحرية إلى مالطة في 5 جويلية 1565م".[1]

وتكون الأسطول العثماني من قوة بحرية جزائرية بقيادة حسن باشا ومن الدولة العثمانية بقيادة بيالي باشا قائد القوات البحرية ومصطفى باشا قائد القوات البرية ومن طرابلس وجربة بقيادة درغوث باشا.

وفي 18 ماي سنة 972هـ/1565م وصل الصدر الأعظم مصطفى باشا قائدا للجيش وبيالي باشا آمرا على الأسطول، واتجه الاتقان إلى مالطة ثم لحق بهم أمراء الشمال الإفريقي، ولقد رافقهم علج علي شبابي الإسكندرية وكان يحمل معه أربعة أو ستة سفن وعلي متنها 900 رجل مصري ولقد وصلوا إلى مالطة يوم 24 ماي، وعلى الفور باشروا بمحاصرة سانت ألم (Burce –sent Elma) وبمقربة من المحاصرة أصيب درغوث باشا بشظية في رأسه توفي على إثرها ولقد خلفه علج علي كخليفة في الحرب.[2]

أما حسن باشا فلقد وصل في 5 جويلية 1565م أي بعد انتهاء المرحلة الأولى من المعركة[3] وأثناء عمليات الهجوم توفي هذا الأخير –أي درغوث باشا– فقام حسن باشا بنفسه بمهاجمه قلعة سان ميشال وتمكن من إلحاق خسائر فادحة بالمدافعين عنه، وقد أكبته تبادته لعمليات الهجوم شهرة عظيمة، وحالما رغب الصدر الأعظم على طلبه، يقال أخصار قرر حسن باشا وعلح علي الاستمرار بمتابعة الحصار، لكنهما لم يتحققا أي تحاح ينكر، وبما أن

[1] محمد يوسفي، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار المل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص ص 150–151.

[2] نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م، ص ص 39–58.

[3] إبن أبي الدينار، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، ط1، مطبعة دولة تونس، تونس، 1869م، ص ص 163.

حسن باشا أصيب بعض الجروح نقد وافق الصدر الأعظم على طلبه، وعاد حسن باشا بعدها إلى الجزائر بعد أن فقد نصف جيشه.[1]

وعلى الرغم من الحصار الذي ضرب لمدة خمسة (5) أشهر إلا أن العثمانيين انسحبوا لما أرسل نائب ملك صقلية قوة صغيرة إلى مالطة، وكان الأتراك يعتقدون أنها كبيرة، ولقد تركوا ورائهم الكثير من التجهيزات والمؤونة وغيرها.[2]

ونظرا للدور الفعال الذي قام به حسن بن خير الناسين في هذه المعركة وما أظهره من شجاعة وبسالة حتى الأخير، نقد أرسل في طلبه السلطان العثماني وعينه أميرال على البحرية سنة 974هـ/1567م وغادر الجزائر نهائيا[3]، ضف إلى ذلك فلقد كشفت معركة مالطة الوقوف الدائم للإيالة الجزائرية جنبا الى جنب مع الباب العالي ومساندتها في كل حروبها وهذا يدل على رغبتها الدائمة في حمل راية الإسلام والمسلمين والدفاع عنهم.

ثالثا: معركة ليبانت 1571م (Lepante1571):

وكما ذكرنا أنها فإن الجزائر قد رفعت شعار التضامن الإسلامي مع الدولة العثمانية في مواجهاتها وحروبها المتواصلة، وفيها يرز بحارتهما بقيادة علج علمي كأحسن رجال البحر من خلال مشاركته في معركة ليبانت، حيث تلقى العلاج على الأوامر من السلطان بتجهيز أكبر عدد ممكن من السفن والتوجه إلى قبرص للانضمام إلى الأسطول العثماني الذي حضر نفسه لمواجهة الأسطول المسيحي المتحالف، ومما جاء في نص الأمر مايلي:"... بعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق جل وعلا، والتوسل والاستناد إلى آيات معجزات سرور الكائنات عليه وعلى آله أفضل الصلوات، فقد تقرر في هذه السنة اخيرة غير الكفار من البر والبحر وإلحاق الخسارة جزيرة المعادية وأسطوله –هزمه الله – و

[1] أحمد ابن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تلمسان وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، 1977، ج2، ص 70.

[2] محمد يوسفي، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، ص 152.

[3] أحمد ابن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تلمسان وعهد الأمان، ص 73.

كذلك بقصد دفع ورفع مضرته وفساده وتلقينهم درسا لن ينسوه... " وتلبية لهذه الدعوة خرج علج علي من الجزائر في ربيع 1571.[1]

ولقد غرف السلطان العماني في هذه الفترة بالذات من أن تتعرض إحدى الإيالات إلى أي هجوم من طرف الإسبان، لأنكم سوف يستغلون غياب قلج علي الذي كان مشاركا في الأسطول الهمايوني "معركة ليبانت" والإيالة الجزائرية دون خليفة يرعاها[2]، ولهذا أرسل فرمانا يقضي بإرسال قلج علي مع بعض القوات إذا حدث أي طارئ، ولهذا عليكم التفطن وأخذ الحيطة والحذر من أجل حفظ الأمن والأمان.

ولقد كانت خسارة الأسطول العثماني كبيرة وضخمة فقد أغرق الأوروبيون 94سفينة واستولوا على 130 سفينة أخرى عليها نحو 300 مدفع و30 ألف رجل، ولقد أرجع جون وولف أسباب انتصار الأسطول المسيحي إلى عاملين أساسيين وهما: وجود السفن الستة الضخمة التي تعود للبندقية وكون أغلبية الجنود المسيحيين والبحارة يحاربون بالدروع الضخمة، أما الجنود الأتراك فلا يكادون يتوفرون عليها من جهة وكون جل الجنود المسيحيين مسلحين بالأسلحة النارية من جهة أخرى في حين كان الجنود الأتراك باستثناء عدد قليل يحاربون بالأقواس والسّهام والرماح والسيوف المحدبة[3].

ومن أسباب الفشل أيضا التحضير السيئ والسريع وبالمقابل عم أوربا الفرح بسبب الانتصار الأول ضد المسلمين،[4] وبالرغم من هزيمة الأسطول العثماني إلا أنه برز من خلالها هيبة وقوة الأسطول الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى ظهور رجال أكفاء اعتقال علج علي الذي أشاد به السلطان العثماني سليم الثاني بعدما قام بإنقاذ ما تبقى من الأسطول العثماني.

---

[1] إبن أبي الدينار، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، 75.

[2] إبن أبي الدينار، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، 76.

[3] يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500م-1830م، دط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 72-73.

[4] إبن أبي الدينار، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، 88.

رابعا: تحرير تونس 1574م.

لتونس أهمية كبيرة في توليد الحكم العثماني في الجزائر بل وفي شمال إفريقيا، والمعروف تاريخيا أن تواجد العثماني في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط كان بتونس عام 1504م حيث اتخذ الإخوة بربروس مدينة جريمة التونسية مركزا لنشاطاتهم البحرية ، وقد أدرك خير الدين "أهميتها لا سيما بعد أن عاني من مؤامرات سلطان تونس معتقد أن كان بيلربايا، فيما بعد استلم قيادة الأسطول العثماني في سنة 1533م/ 941هـ، وكانت أولى أعماله البارزة هو الإقدام على ضم تونس إلى الدولة العثمانية في سنة 941هـ /1534م وتمهيد ليست السيادة العثمانية على باقي مناطق شمال افريقيا.

ولقد كانت تونس الحفصية تعرف صراعات من أجل الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة، وهذا ما جعل سكانا يرسلون وفدا إلى البايلرباي خير الدين سنة 1532م لنجدتهم، وكانت الفرصة مواتية لأرائك الجزائر والدولة العثمانية للسيطرة على و التي كانت تحتل موقعا استراتيجيا هاما في حوض المتوسط قبل أن تسقط بيد الإسبان الذين كانوا ينوا لوقف توسع العمانيين في اخوض الغربي للتوسط، ولهذه الأسباب لم يتردد خير الدين في تنظيم حلة على تونس وشرع في نفس السنة.

ولقد سار خير الدين إلى القسطنطينية رفقة مولاي الرشيد حاملا معه مشروع إسقاط السلطان الحسن، ولقد هاجم في طريقه سفنا إسبانية واستولى على بعضها مع خارقا في القسطنطينية، وعين خير الدين على إثرها أميرالا للأسطول العثماني، ومنح له لقب البايلرباي فقفل راجعا تاركا وراءه الرشيد الحفصي محبوسا في العاصمة العثمانية.

كان أسطول خير الدين يحمل على متنه حوالي 1800 انكشاري وحوالي 6500 رجل من أصول ألبانية وأناضولية ويونانية، وحوالي 600 من الأعلاج، توقف الأسطول عدة مرات في كلابريا لجمع الغنائم والعبيد والماء والخشب، لما بلغ عناية وجد في انتظاره إعدادات جاء بها حسن أغا، وسار الجيش التركي برا نحو بنزرت وخرا نحو حلق الوادي[1]، دخل هذا

[1] يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500م-1830م، ص 75.

الأسطول مدينة تونس دون مقاومة ولقد خرج منها السلطان الحفصي حسن فارا إلى عرب البادية، بل أن خير الدين لقي لترحيب من قبل سكان مدينة تونس إلا أن سكان المدينة ما لبتوا أن ثاروا عليه لما علموا أنه لم يصطحب معه الأمير الرشيد الحفصي لتنصيبه كما أشاع حسب اتفاقهم مع خير الدين، وأنه أخذ تونس باسم السلطان العثماني سليمان القانوني، وعلى انها رجع السلطان حسن الحفصي وقاد غوره ضد خير الدين إلا أن هذا الأخير تمكن من القضاء على ثورتهم بعنف، وفر حسن ثانية إلى طوائف العرب في داخل تونس بينما قبل سكان تونس العاصمة بالأمر الواقع.[1]

وبعد فتح خير الدين لتونس وطرد الإسبان منها، لم يبق أمام حسن المخلوع سوى العمل بنصيحة أحد أعلاجه وهو من أصل ألماني، الذي طلب منه أن يستنجد بشارل الخامس لاستعادة عرشه المسلوب، وفي الماي 1535م تطلق الأسطول الإسباني المكون من 450 قطعة بحرية تحمل 30 ألف رجل من برشلونة تحت قيادة شارل الخامس الذي بلغ خليج تونس يوم 15 جوان على الرغم من المقاومة العنيفة إلا أنه استطاع الاستيلاء على حلق الوادي، ما اضطر خير الدين إلى الانسحاب خاصة بعدما تدعم الصف الإسباني يعرب القيروان ومولاي حسن حليف الإسبان، كما تدعموا بالسجناء المسيحيين الذين هربوا من السجن، ولقد بقي خير الدين ومن معه طوال الليل تحت أسوار المدينة، وفي الصباح الباكر قرروا التوجه إلى الجزائر بعد هذه الهزائم المتلاحقة حيث خسروا 87 سفينة و300 قارب سقطوا في أيدي المسيحيين.[2]

انتصر شارل الخامس الذي أعطى الضوء الأخضر جنوده بنهب المدينة عقابا لسكانها الذين لم يحسنوا استقبال المولاي حسن بحفاوة، وعلى إثر هذا الانتصار وقع مولاي حسن معاهدة مع شارل الخامس، وإن كانت هذه العادة قد وضعت مولا حسن في أدنى مراتب الذل والإهانة وقد تضمنت العاشرة على ما يلي :

1/ إطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس.

[1] محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964م، ج3، ص 166.

[2] محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ص 162.

2/ السماح للمسيحيين بالمتاجرة، وبناء الكنائس في تونس العاصمة.

3/ دفع 12 ألف دوقة سنويا 12 حصانا للملك.

4/ السماح لهم بالصيد في الشواطئ التونسية.

وفي المقابل توعدهم إسبانيا بحماية تونس مقابل هذه البنود[1]، وإذا تخلف مولاي حسن عن أي شرط سيدفع 50 ألف دوقة وفي المرة الثانية 100 ألف دوقة وفي المرة الثالثة تؤخذ البلاد منه.

وبقيت تونس بين المد والجزر ونظرا لانشغال شارل الخامس وأخيه ملك النمسا في قتال الأتراك والفرنسيين في أوربا لم تبذل إسبانيا جهادا كبيرا لعدم وجودها في تونس وكذا ولمدة ربع قرن تقريبا، أدت الخلافات بين الأمراء الحفصيين المتتاليين على السلطة إلى تأرجحهم بين التحالف مع الأتراك أو مع الإسبان.

فاغتنم علج علي الذي حكم الجزائر عام 1568م الأوضاع المتردية فيها في عهد السلطان حميدة بن الحسن الحفصي والدعوة التي تلقاها من بعض الناقمين على الوضع من أعيان تونس ورجالاتها ومنهم الحليب الخضار وغيرة، وانشغال الإسبان بقضية الأندلسيين في جانفي 1569م، فشن حملة برية على تونس في أكتوبر 1569م، وكان معه قوة تألف من 5 ألاف رجل وخرج بمحلة عظيمة، وفي سيره انضمت إليه قوات أخرى من المتطوعين من قبائل عمراوة وقرفة، وسويد قدرت بنحو سبعة (7) آلاف رجل[2]، والواضح من حركة علج علي و رغبته في تحرير تونس عليا و لكن لحساب الدولة العثمانية و دون الخروج عن الاستراتيجية العامية التي تعمل بها الدولة في احضار التوسع في منطقة شمال افريقيا، ومن هنا يتضح لنا أن مهمة البحرية الجزائرية بغض النظر عن دورها الاقتصادي البارز، قد ارتكزت أساسا على إحباط مخططات الإسبان و خصوصا و الأوربيون عموما و الدفاع عن أرض الاسلام.

[1] محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ص 164.

[2] نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996، ص ص 39-58.

وتمكن علج علي من تحرير تونس وانتصر على السلطان الحفصي أحمد في معركتي باجة وسيدي علي الحطابوفر هذا الأخير إلى الاسبان، كما أرسل علج علي في طب الأسطول العثماني وقوات عثمانية كبيرة للقضاء على الحصن الإسباني القوي في حلق الوادي إذ بدون القضاء على الحصن تبقى تونس معرضة للخطر من طرف الإسبان في كل لحظة، ولكن السلطان العثماني كان بحاجة إلى الأسطول لفتح قبرص فلم يجبه التالي بطلبه وعاد إلى الجزائر وبقيت حلق الوادي محتلة.

خامسا: حرب البنادقة 1639م (La guerre venice)

استمرت الدولة العلمانية في الاعتماد على البحارة الجزائريين وعلى الأسطول الجزائري فقي سنة 1639م دخلت الدولة العثمانية في حرب مع البنادقة في الساحل الدلماشي بألبانيا، وكان السلطان العثمان قد أستنجد بالأسطول الجزائري الذي قاده البحار الجزائري علي بوتشين إلى هناك، وبسبب حدوث زوابع بحرية شديدة التجأ الأسطول الإسلامي إلى خليج فالونا، واغتنم البنادقة نزول البحارة إلى البر وانفصلوا على المراكب وقتلوا 1500 شخص وحرروا 4643 أسير مسيحي كانوا على ظهر المركبة.

كما استولى البنادقة على 12 غليوطة وغرق 4 غاليوطات كما فقدوا سفينتين من نوع برغانطة، ولم ينج من الرياس إلا القليل في حين تمكن علي بوتشين من الخروج بسلام لكنه تعرض إلى أضرار كبيرة، لأن المجدفين والسفن كانوا من ملكه الخاص.

وإن كانت هذه الحادثة قد مثلت منعرجا خطيرا وحاسما في تدهور البحرية الجزائرية التي كانت هي الدعامة الأساسية التي ترتكز عليها الجزائر، ولم تمكن هذه الأخيرة منذ هذه الواقعة من استرجاع قوتها كما كانت، لأنه إن كان من السهل بناء المراكب البحرية نظرا لازدهار صناعة السفن في الجزائر، فإنه من الصعب إعداد ما تتطلبه السفن الجديدة من بحارة وقادة بقطع النظر عن الأسرى اللازمين لتسيير البواخر الحربية، وبالرغم من أن الباب

العالي قد وعد الجزائر بتعويض خسائرها وتجهيزها ب 25 باخرة حربية كبيرة، لكنها لم تف بوعدها.[1]

ومن أثار هذه الواقعة أن تعهد الرياس بعدم المشاركة في مثل هذه الحروب، حيث أنهم وحدهم من دفعوا الثمن غاليا و ضحوا بدمائهم وأموالهم، ولهذا فقد قطعوا وعدا على أنفسهم بعدم القيام بمثل ذلك والتزموا بوعدهم، وأصبحوا ينظرون إلى كل المطالب الواردة من الدولة العثمانية نظرة الإرتياب والشك. [2]

[1] نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، ص 60.

[2] فيروز شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العثماني حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق وتقديم، محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة سقايونس، ليبيا، 1994، ص 89.

خلاصة الفصل:

لا خلاف في أن انضمام الجزائر الى الدولة العثمانية سنة 926هـ/ 1520م يمثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر السياسي، فستشهد هذه المرحلة بروز الشخصية السياسية والعسكرية للجزائر نتيجة لإلحاقها وانضمامها للدولة العثمانية من جهة و الطبيعة موقعها الجغرافي والاستراتيجي من جهة أخرى، والدور الريادي الذي لعبته منذ تاريخ انضمامها.

كما حافظ العثمانيون على الطابع الديني والاجتماعي التي وجدوا عليه أهل البلد عندما استنجد بهم الأهالي لتحرير البلاد، وشكلوا هيئة مستقلة عن السلطة الإدارية لمراقبة مدى تطابق القانون مع الشرع. وبما استأثر الولاة بشؤون الحكم، وانطفأ العلم، وانقلبت القوانين، وانتشر الفساد تحت المناصب الدينية لغير أهلها من العلماء والفقهاء.

خاتمة

خاتمة:

بعد التطرق لموضوعنا حيث خلصنا الى أن الدفاع عن الدين كان الهدف الاول للدولة العثمانية بعد ضمها للايالة الجزائر، حيث كانت الظروف القائمة بالجزائر في مطلع ق 11 م، تنذر بالسوء جراء الاعتداءات المتكررة من قبل الدول الأوروبية الطامعة في الاستحواذ على المناطق العربية، بعد انهيار الحكم الإسلامي في الأندلس. لذلك عمل القادة العثمانيون على تأمين وصول المسلمين إلى المغرب العربي، ومن الدفاع عنها ضد الهجمات الإسبانية المتكررة، وذلك بالتحالف مع الخلافة العثمانية.

وكان للعامل الديني الأثر البالغ في اتصال العثمانيين بالجزائر وحمايتها من الغزو المسيحي الصليبي ، وجمع شملها تحت راية الخلافة العثمانية طيلة ثلاثة قرون بدء من سنة 1519 م ، وأصبحت بذلك أول إيالة عثمانية إسلامية في شمال إفريقيا، وهو ما سيؤثر في تحديد طبيعة علاقاتها مع دول غرب أوربا باعتبارها دول معادية للإسلام وللدولة العثمانية وكل من يقع تحت حمايتها.

بروز البحرية الجزائرية في العهد العثماني كقوة عسكرية معتبرة في الحوض الغربي للمتوسط طيلة ثلاثة قرون، ووقوفها ضد الخطر الصليبي الأوروبي الآتي من الشمال، وقد أصبحت هذه القوة البحرية مصدر قوة للدولة وسر مكانتها الدولية وبالتالي فقد تحكم هذا العامل في تحديد سياستها الخارجية وفي تحديد مواقف الدول الغربية .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة الكتب:

1. إبن أبي الدينار، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، ط1، مطبعة دولة تونس، تونس، 1869م.
2. أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، تاريخ الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان عليها بها من الأخبار.
3. أحمد ابن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تلمسان وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، 1977، ج2.
4. أحمد ابن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تلمسان وعهد الأمان.
5. أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا، دس.
6. برواق مليكة، البعد الجمالي للعمارة بمدينة الجزائر "دراسة معمارية أوثرية وجمالية لجامع كتشاوة، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 1، عدد1.
7. بن عيسى فاطمة، الحملة الانجليزية الهولندية على إيالة الجزائر 1816 من خلال مركز الأرشيف الوطني الجزائري ووثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مجلة التاريخ المتوسطي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، مج2، ع2، 2020.
8. بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، ديوان المطبوعات، 1991م.
9. تراري مختارية، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، مركز البحوث في الأنثروبولوجيا، وهران.
10. تميمي عبد الجليل، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، الجزء1-2، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية عن الولايات العربية في العهد العثماني، مطبعة الاتحاد التونسي للشغل، تونس، 1986م.
11. جيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، الجزء 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

12. حاج سعيد محمد، القصبة في العهد العثماني تاريخها، ودورها، وعمارتها، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في العلوم الإسلامية، جامعة وهران1، قسم العلوم الاسلامية، 2014-2015.

13. حبوسة أبو بكر، دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، جامعة تمنراست، المجلد7، العدد4، 2018.

14. دويدة نفيسة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، انسانيات ، مركز البحوث الأنثروبولوجيا، عدد 68، عدد 68.

15. رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، مطابع دار روتابرينت، 1994.

16. زكية زهرة، الأهمية التاريخية لأوقاف الأحناف بمدينة الجزائر، من خلال ثلاث نماذج من الوثائق، مجلة الدراسات الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001.

17. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

18. سعيدوني ناصر الدين، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

19. سلطاني أحمد، من قضايا الإسلاح عند المفتي الجزائري 1775-1850، العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة ابن خلدون، المجلد1، العدد 2، تيارت، سبتمبر 2018.

20. سيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999م.

21. شريد ح سعيد بن أحمد، تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، 2012.

22. شريط عبد الله، وميلي مبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.

23. شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2007.

24. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

25. عبد المنعم فؤاد أحمد، شيخ الإسلام ابن تميمة والولاية السياسية الكبرى في الإسلام، دار الوطن، السعودية، 1417هـ.

26. عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة المغربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989م.

27. عقيل نمير، أوقاف مدينة الجزائر في القرن 18م، مجلة الدراسات الانسانية، الجزائر، مج2.

28. عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب 923هـ-1069هـ/1518-1659م، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة دمشق، 1983م.

29. غالم محمد، تحرير وهران في 27 فبراير 1992، الحدث والرمز، مجلة انسانيات، عدد 79.

30. غربي شميسة، أول خطبة بعد عيد الاستقلال، مسجد كتشاوة للشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة دنيا الوطن، رام الله، 2019.

31. غطاس عائشة ، حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين لمدينة الجزائر، مجلة الدراسات الانسانية، العدد02، المجلد1.

32. فيروز شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العثماني حتى الغزو الإيطالي، ترجمة وتحقيق وتقديم، محمد عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة سقايونس، ليبيا، 1994.

33. كيدو أكرم، ترجمة أيوبي هاشم، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، منشورات جروس برس، لبنان، 1992.

34. محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964م، ج3.

35. محمد يوسفي، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار المل للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

36. محمود علي عامر، ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى ليبية، الجمعية الثانوية للطباعة، دمشق، دس.

37. مشهداني مؤيد محمود حمد، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية "مجلة علمية محكمة"، المجلد5، 2013.

38. نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م.

39. نادية محمد مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996.

40. يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500م-1830م، دط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

41. يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500م-1830م.

42. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.

المراجع الاجنبية

43. Ermest Watbled, « Etablissement de la domination turque en Algérie », In R.A, N: 17, 1873

44. Fery Diego de Haedo, Histoire, Op cit

45. Pellissier, Mémoire historique et géographiques sur d'Algérie, Imp. royal, Paris

فهرس

الموضوعات

ـأ-
أبو قلمون
أبوحموالثاني
إلياس
إسحاق
أبو زيان

ـب-
بن القاضي
بربروس
بن تومي
بيري رايس
بايزيد

-ج-
جان جي
جعدون
جون ميشال فونتير ديبا رادي
جوهان ارنست هابنسترايت

-ح -
حسن قارة

ـد-
ديغو دي فيرا

ـل -
لوجي دو تاسي

-خ-
خير الدين
-س-
سليم الاول
سالم التومي
سيدي عبد الرحمان الثعالبي

-ع-
عروج

-ك-
كاردينال خيمينيس
-ز-
زفيرة

فهرس الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-هـ
الفصل الاول : ظهور ايالة الجزائر العثمانية.	
المبحث الأول: ظهور الإخوة بربروس بالجزائر.	08
أولا: أصلهم	09
ثانيا: ممارسة القرصنة ضد السفن الأوربية المعادية للدولة العثمانية	11
ثالثا: استنجاد سكان أهالي المغرب الأوسط بالإخوة بربروس.	12
المبحث الثاني: ظروف نشأة إيالة الجزائر	21
أولا: دوافع العداون الصليبي الأوروبي على الجزائر	23
-الدوافع الدينية.	24
- الدوافع السياسية والإقتصادية.	25
- الدوافع العسكرية.	26
ثانيا: بداية إرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية.	26
الفصل الثاني دور إيالة الجزائر في الدفاع عن ديار الاسلامية	
المبحث الأول: بدايات انتشار الدين الإسلامي والدفاع عنه	33
أولا: ديار الإسلام	33
ثانيا: التصوف وتأثيره على المجتمع	38
ثالثا: مكانة الزوايا عند الأهالي	42
رابعا: الوقف وتأثيره على الحياة الاجتماعية والثقافية	44
خامسا: مكانة مؤسسة أوقاف سيل الخيرات	50
سادسا: المصادر المالية للمؤسسات الوقف	52

المبحث الثاني: دور الإيالة الجزائرية في الدفاع عن ديار الاسلام	54
أولا: تحرير طرابلس 1551م	55
ثانيا: حصار مالطة 1565	57
ثالثا: معركة ليبانت 1571م (Lepante1571)	59
رابعا: تحرير تونس 1574م	61
خامسا: حرب البنادقة 1639م (La guerre venice)	64
خاتمة	68
قائمة المصادر والمراجع	–
فهرس الاعلام والشخصيات	–
فهرس الموضوعات	–
ملخص	

ملخص:

لقد أدرك العثمانيون منذ اتصالاتهم الأولى بإيالة الجزائر العثمانية و ، أن نجاحهم في حكم الجزائر والدفاع عن القوي الدينية والروحية والمتثملة في حماية الديار الاسلامية ونصرة الاسلام كان متوقف على مدى نجاحهم في التقرب و التعامل مع تلك القوى ذات الحضور الديني و الاجتماعي القوي ،ومدى تمكنهم من الحصول على دعم رؤساء ومشايخ ورموز تلك القوى ، فبادروا لأجل ذلك إلى سياسة كان الهدف منها محاولة استمالة تلك القوى وكسب ودها إن أمكن ، والا العمل على إخضاعها بمختلف الوسائل المتاحة والممكنة، وقد سجل لنا التاريخ اختلافا واضحا في المواقف و الأدوات التي اعتمدها العثمانيون في التعامل مع تلك

القوى الدينية.

الكلمات المفتاحية: الايالة، الجزائر، الديار الاسلامية.

Abstract :

Since their first contacts with local forces in the Ottoman Ile of Algeria and represented in the Almoravids and tribal sheikhs, the Ottomans have realized that their success in the rule of Algeria, the Ottomans, depends on their success in approaching and dealing with those forces with strong religious and social presence and their ability to obtain The leaders, leaders, and symbols of those forces supported them, so they resorted to a policy that was intended to attempt to win over these forces and win them if possible, otherwise work to subject them by various means available and possible. History has recorded a clear difference in the attitudes and tools adopted by the Ottomans in dealing with With those religious forces along the cities and countryside in different regions, and in the extent of the response of those forces with that policy or to reject and rebel against it, which will be presented through this scientific article.

Mots cle: Ayala, Algeria, Islamic countries.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي اذناه :

السيد(ة): بن ناصر مصطفى

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 206564993

الصادرة بتاريخ: 2021-03-18 عن دائرة: المسيلة

المسجل بكلية: العلوم الانسانية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 044103168

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج مذكرة ماستر, مذكرة ماجستير, اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: دور ولاية الجزائر في الدفاع عن دار الإسلام

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المتعلق بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

من رئيس المجلس الشعبي البلدي
ونائب رئيس الدائرة المكلف
بالشؤون الإدارية
ساعد عبد الرزاق

اطلع وسعى عند توقيع
العميد
2 جوان 2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والعمال المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

دور امالة الجزائر في الدفاع عن ديار الاسلام

إعداد الطلبة:

1- طالبي عاشور رقم التسجيل: 044102646

2- بن ناصر مصطفى رقم التسجيل: 044103168

القسم: تاريخ الشعبة: تاريخ التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: الأستاذ كوالي إبراهيم الرتبة:

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

تحميل الوثيقة برمز الرد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي اسفله :

السيد(ة): عابي عاشور

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 207469700

الصادرة بتاريخ: 2022/02/13 عن دائرة: أولاد دراج

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 044102646

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر, مذكرة ماجستير, اطروحة دكتوراه)

عنوانها: دور إيالة الجزائر في الدفاع عن ديار الإسلام

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقية: المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
ونيابة عن [illegible]
سواسي عبد الرزاق

تقرر وسلم في نوفمبر
2022 جوان 2.9